مجتمع الفرجة

الإنسان المعاصر في مجتمع الاستعراض

جي ديبور

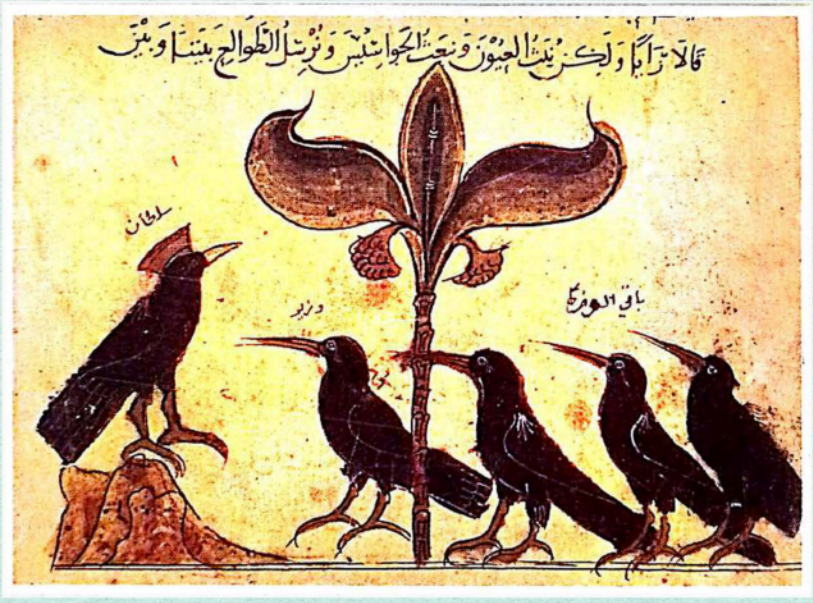

ترجمة :
أحمد حسان

تصوير أبو محمد

دراسات ثقافية
أبو عجرو البغل
دار الشوقيات

هذه ترجمة كاملة لكتاب:
La société du spectacle
Guy Debord
Gallimard, 1992

© جميع حقوق النشر محفوظة ١٩٩٤
الطبعة العربية الأولى ١٩٩٤

دار شرقيات للنشر والتوزيع
٥ شارع محمد صدقي، هدى شعراوي،
باب اللوق/ القاهرة
ت: ٣٩٠٢٩١٣ س . ت: ٢٦٩١٩٨

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
البعثة الفرنسية
للأبحاث والتعاون
قسم الترجمة
القاهرة

غلاف واخراج: ذات حسين أبوزيد
لوحة الغلاف
من كتاب «كليلة ودمنه»
(المكتبة الوطنية في باريس)

مجتمع الفرجة

الإنسان المعاصر في مجتمع الاستعراض

جي ديبور

ترجمة : أحمد حسان

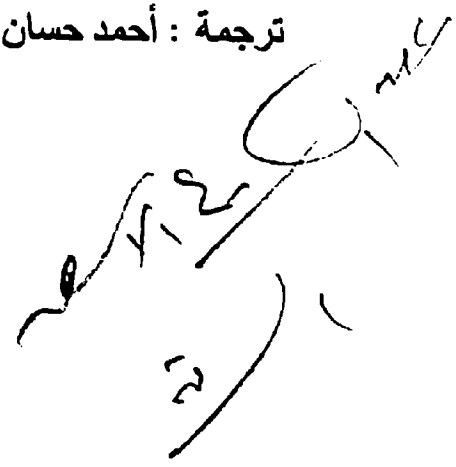

دار شرقيات

(١)

الانفصال المُكْتَمِل

"ولا شك أن عصرنا ... يُفضِّل الصورة على الشيء، النسخة على الأصل، التمثيل على الواقع، المظهر على الوجود ... وما هو مقدس بالنسبة له، ليس سوى الوهم، أما ما هو مُدنَّس، فهو الحقيقة. وبالأحرى، فإن ما هو مقدس يكبر في عينيه بقدر ما تتناقص الحقيقة ويتزايد الوهم، بحيث أن أعلى درجات الوهم تصبح بالنسبة له أعلى درجات المقدس."

فويرباخ

(مقدمة الطبعة الثانية
من جوهر المسيحية)

(١)

في المجتمعات التي تسود فيها شروطُ الإنتاج الحديثة، تُقدِّمُ الحياةُ نفسَها بكاملها على أنها تراكمٌ هائلٌ من الاستعراضات.(*) كلُّ ما كان يُعاشُ على نحوٍ مباشرٍ يتباعدُ متحوِّلاً إلى تمثيل représentation.

(٢)

الصُّوَر التي تنفصل عن كلِّ مجالٍ من مجالات الحياة، تندمجُ ضمنَ تيارٍ مشترك، لا يعودُ ممكناً فيه استعادةُ وحدة هذه الحياة من جديد. الواقعُ المأخوذ جزئياً يتكشَّفُ في وحدته العامة ذاتها عن كونه عالماً - زائفاً على حِدَة، موضوعاً لمجرد التأمل. يجدُ تخصصُ صورِ العالم نفسه، مُتحقِّقاً، في عالم الصورة المستقلة، حيث يكون الكاذب قد كَذَبَ على نفسه. إن الاستعراض عموماً، بوصفه قلباً عينياً للحياة، هو الحركة المستقلة لما ليس حياً.

(٣)

يُقدِّم الاستعراض نفسه في آنٍ واحدٍ بوصفه المجتمعَ ذاته، وبوصفه جزءاً من المجتمع، وبوصفه أداة توحيد. وبوصفه جزءاً من المجتمع فإنه بالتحديد هو القطاع الذي تتركَّزُ فيه كلُّ نظرةٍ وكلُّ وعي. ونظراً لحقيقة أن هذا القطاعَ منفصلٌ، فإنه موضعُ النظرةِ المخدوعةِ والوعيِ الزائفِ؛ والتوحيد الذي يُحقِّقُهُ ليس سوى لغةٍ رسميةٍ للانفصالِ المُعَمَّم.

(*) هذا الكتاب، الذي كان طليعةً مبكرة لتيار عريض ومتنوع من الكتابات، يحاول، كما سيلاحظ القارئ أن يستولد من الأفكار الماركسية الكلاسيكية عن المجتمع الرأسمالي مفهوماً جديداً لم تك تمكن الأفكار تتضمّنه، هو مفهوم «الاستعراض»، الذي طلب الناشر وضعه على الغلاف تحت اسم «الفُرجة»، سعياً للتبسيط. وطبيعي أن تنطوي محاولة توليد مفهوم جديد على قدر واضح من صعوبة الأسلوب سيناقشها الكاتب في حينه، لكنها هنا تتميز بقدر كبير من النفاذ في تلمّس مختلف جوانب هذا المفهوم. ويقيناً أنّ القارئ، الذي سيتابع ماقشة الكاتب حتى النهاية سيصل الى إدراكه في تعقيده وشموله. هذا المفهوم يُدخل في المنظومة الكلاسيكية التي ترتكز على مقولات اقتصادية بعداً جديداً لاتستطيع المقولات الاقتصادية الصرف الإمساك به، وقد سعى المفكرون اللاحقون إلى تطويره، كلٌ من زاويته. ومن هنا أهمية الكتاب الذي يمثّل حلقة وسيطة بالغة الأصالة بين المفاهيم النقدية الكلاسيكية وبين المفاهيم الراهنة التي تطوّر نقداً وتوصيفاً شاملين للمجتمعات الرأسمالية المتقدمة. - المترجم.

(٤)

ليس الاستعراض مجموعةً من الصور، بل علاقة اجتماعية بين أشخاص، تتوسط فيها الصور.

(٥)

لا يمكن فهمُ الاستعراض على أنّه إساءةُ استخدام عالم الرؤية، على أنه نتاج لتقنيات التعميم الواسع للصور. إنه، بالأحرى، رؤيةٌ للعالم Weltanschauung صارت فعليةً، وجدت ترجمتها المادّية. إنها رؤية للعالم صارت متشيئة objectivée.

(٦)

الاستعراض، مفهوماً في كليّته، هو في آنٍ واحد نتيجةٌ ومشروعُ نمط الإنتاج الراهن. ليس ملحقاً للعالم الواقعي، وليس ديكوراً إضافياً له. إنه لُبُّ لا واقعية المجتمع الواقعي. في كل أشكاله النوعية، سواءٌ كانت المعلومات أو الدعاية، الإعلان أو الاستهلاك المباشر للتسلية، يُشكّل الاستعراض النموذج الراهن للحياة السائدة اجتماعياً. إنه التأكيد الكلّي الحضور للاختيار الذي تمّ اتّخاذه فعلاً في الإنتاج والاستهلاك المنبثق عنه. وشكل ومضمون الاستعراض هما، على نحو متطابق، التبرير الكلّي لشروط وغايات النظام القائم. والاستعراض هو أيضاً الحضور الدائم prèsence permanente لهذا التبرير، حيث أنه يحتلّ الجزءَ الأكبر من الوقت المُعاش خارج الإنتاج الحديث.

(٧)

يُشكلُ الانفصالُ جزءاً من وحدة العالم، من البراكسيس الاجتماعي الشامل المنقسم إلى واقع وصورة. والممارسة الاجتماعية التي يقف في مواجهتها الاستعراضُ المستقلُ، هي كذلك الكلّية الواقعية التي تتضمّن الاستعراض. لكن الانقسام في هذه الكلية يمزّق أوصالها إلى حدٍ يجعل الاستعراض يبدو وكأنه غايتها. وتتكوّن لغة الاستعراض من علاماتٍ signes للإنتاج السائد، هي في نفس الوقت الهدف النهائي لهذا الإنتاج.

(٨)

ليس بالإمكان إقامة تعارض تجريدي بين الاستعراض وبين النشاط الاجتماعي الفعلي؛ فهذا التقسيم الثنائي هو نفسه منقسم ثنائياً. فالاستعراض الذي يقلب ما هو واقعي هو في الحقيقة نتاج. وفي نفس الوقت فإن الواقع المعاش مُشبَّعٌ مادياً بتأملُ الاستعراض، ويكتسب هو نفسُه النسقَ الاستعراضيَ مانحاً إياه تماسكاً إيجابياً. الواقع الموضوعي موجود، على كلا الجانبين. وكلُ مقولةٍ مثبّتةٍ على هذا النحو ليس لها من أساسٍ سوى انتقالها إلى النقيض: فالواقع ينبثق داخل الاستعراض، والاستعراض واقعي. هذا الاستلابُ المتبادل هو جوهرُ ودعامةُ المجتمع القائم.

(٩)

في العالم المقلوب واقعياً رأساً على عقب، يكون ما هو حقيقي لحظة من لحظات ما هو

زائف.

(١٠)

يوحّدُ مفهوم الاستعراض ويُفسّرُ تنوعاً هائلاً من الظواهر المتبدّية apparents. وتنوعاتها وتعارضاتها هي تبدّيات هذا التبدّي المنظّم اجتماعياً، والذي يتوجب الإقرار به هو نفسه في حقيقته العامة. والاستعراض، مأخوذاً وفقَ شروطه الخاصة، هو تأكيدُ التبدّي وتأكيدُ كلّ حياةٍ إنسانية، أي اجتماعية، بوصفها مجرد تبدّي. لكن النقد الذي يصل إلى حقيقة الاستعراض يكشف أنه النفي المرئي للحياة؛ أنه نفي للحياة أصبح مرئياً.

(١١)

من أجل وصف الاستعراض، تكوينه، ووظائفه، والقوى التي تميل إلى تصفيته، يجب التمييز بطريقة مصطنعة بين عناصر لا تقبل الانفصال. وعند تحليل الاستعراض، يتحدث المرء، إلى حدٍ معيّن، نفس لغة ما هو استعراضي، بمعنى أنه يتحرك داخل المجال المنهجي لهذا المجتمع الذي يعبّر عن نفسه في الاستعراض. الاّ أن الاستعراض ليس سوى معنى الممارسة الكلّية لتشكيلةٍ اجتماعية - اقتصادية، ليس سوى استخدامها للزمن. إنه اللحظة التاريخية التي تضمّنا.

(١٢)

يقدّم الاستعراض نفسه بوصفه أمراً إيجابياً هائلاً لا يقبل الجدل ولا يمكن بلوغه. إنه لا يقول سوى أن «ما يتبدى جيّدٌ، وما هو جيّدٌ يتبدى». والموقف الذي يتطلبه من البداية هو هذا القبول السلبي الذي أحرزه فعلاً بواسطة طريقته في التبدي دون جواب، بواسطة احتكاره للتبدي.

(١٣)

ينبع طابع تحصيل الحاصل العميق للاستعراض من الحقيقة البسيطة لكون وسائله هي في نفس الوقت غايته. إنه الشمس التي لا تغرب أبداً عن امبراطورية السلبية الحديثة. إنه يغطي العالم برمّته ويستحم في مجده الخاص إلى ما لانهاية.

(١٤)

إن المجتمعَ الذي يقومُ على أساس الصناعة الحديثة ليس استعراضياً spectaculaire بالصدفة أو على نحوٍ سطحي، إنه استعراضي النزعة spectaculiste أساساً. ففي الاستعراض، الذي هوَ صورةُ الاقتصاد السائد، لا يعني الهدفُ شيئاً، والنموُ هو كلُ شيء. الاستعراض لا يستهدف بلوغَ شيء سوى نفسهِ.

(١٥)

بوصف الاستعراض تزييناً لا غنى عنه للأشياء التي تُنتَجُ الآن، وبوصفه خلاصةً عامةً لعقلانية النظام، وبوصفه قطاعاً اقتصادياً متقدماً يُشكّل مباشرةً حشداً متنامياً من الأشياء - الصور، فإنه هو الإنتاجُ الرئيسيُ للمجتمع الراهن.

(١٦)

يُخضعُ الاستعراض البشرَ الأحياء بقدرِ ما يكونُ الاقتصاد قد أخضعهم تماماً. إنه لا يعدو أن يكون الاقتصادَ الذي ينموّ بذاته. إنه الإنعكاسُ الأمينُ لإنتاجِ الأشياء، والتشييء غير الأمين للمنتجين.

(١٧)

كانت المرحلة الأولى لسيطرة الاقتصاد على الحياة الاجتماعية قد أدخلت في تعريف كل إنجاز إنساني تدهوراً واضحاً لـ الوجود l'être إلى تملك avoir .أما المرحلة الراهنة للاحتلال الشامل للحياة الاجتماعية من جانب النتائج المتراكمة للاقتصاد فإنها تقود إلى انزلاق واسع النطاق لـ التملك l'avoir إلى تبدّي paraître يجب أن يستمدّ منه كلُّ «تملك» فعليّ مكانتهَ الفورية ووظيفته النهائية. وفي نفس الوقت يصبح كلُّ واقعٍ فردي اجتماعياً، يتوقف مباشرةً على السلطة الاجتماعية، ويتشكل بواسطتها. ولا يُسمَحُ له بالتبدّي إلاّ بقدر مالا يكون.

(١٨)

حيث يتحوّل العالم الواقعي إلى صورٍ بسيطة، تصبح الصورُ البسيطةُ كائناتٍ واقعيةً، وحوافزَ فعالةً لسلوكٍ في حالة تنويم. والاستعراضُ، بوصفه مَيْلاً بوسائط متخصّصة مختلفة، لأن يجعل مرئياً ذلك العالم الذي لم يعد يمكن الإمساك به مباشرة، هذا الاستعراضُ من الطبيعي أن يعتبر النظرَ الحاسةَ الإنسانية المتازةَ التي كانها اللمس في حقب سالفة؛ فهذه الحاسة الأكثر تجريداً، والأكثر قابلية لإضفاء الغموض عليها تناظرُ التجريدَ المعمّمَ للمجتمع الراهن. لكن الاستعراضَ لا يمكن التعرُّف عليه بمجرد النظر، حتى لو ارتبط بالسمع. إنه ذلك الذي يفلتُ من نشاط البشر، يفلتُ من أن يعيد عملهُم النظر فيه أو يصحّحَه. إنه نقيض الحوار. وحيثما وُجد تمثيل représentation مستقلٌ، يعيدُ الاستعراضُ تأسيسَ نفسه.

(١٩)

الاستعراضُ هو وريثُ كل جوانب ضعف المشروع الفلسفي الغربي الذي هو إدراكٌ للنشاط، تحكُمه مقولاتُ الرؤية voir ؛ كذلك فإنه يقوم على أساس الانتشار الذي لا يتوقف للعقلانية التقنية الدقيقة التي نتجت عن هذا الفكر. إنه لا يحقق الفلسفة في الواقع، بل يفلسف الواقع. أما الحياة العينية للجميع فقد تدهورت إلى مرتبة عالم تأملي spéculatif.

(٢٠)

الفلسفةُ، بوصفها سلطةَ التفكير المنفصل، وتفكيرُ السلطة المنفصلة، لم تستطع أبداً بذاتها أن تتجاوزَ اللاهوت. والاستعراضُ هو إعادةُ البناء المادية للوهم الدّيني. والتّقنيةُ الاستعراضيةُ لم تبدّد السُحُبَ الدينية حيث وضع البشرُ قدراتهم المنفصلة عنهم: لقد ربطتها فقط بقاعدأرضية.وهكذا فإن أشد الحيوات أرضيةً هي التي تصبح معتمةً وخانقة. لم تعد هذه الحياة تمتدُ لتبلغَ السماءَ، بل تضمُ في داخلها نفيها المطلق، جنتها الزائفة. الاستعراضُ هو التحقيقُ التقنيُ لنفي القدراتِ البشرية إلى

ما وراء: هو الانقسامُ المكتملُ داخلَ الإنسانِ.

(٢١)

بقدر ما تكون الضرورةُ حلماً اجتماعياً، بقدر ما يتحول الحلمُ إلى ضرورةٍ. والاستعراضُ هو كابوسُ المجتمع الحديث المكبَّلِ بالأغلال، الذي لا تُعبِّر في النهاية سوى عن رغبته في النوم. الاستعراضُ هو حارسُ هذا النعاس.

(٢٢)

إن حقيقة أن القوةَ العملية للمجتمع الحديث قد انفصلت عنه، وشيِّدت إمبراطوريةً مستقلةً في الاستعراض، هذه الحقيقة لا يمكن تفسيرها الاّ بتلك الحقيقة الأخرى المتمثلة في كون هذه الممارسة القوية قد ظلت تفتقر إلى التماسك، وظلت في تناقضٍ مع نفسها.

(٢٣)

في جذرِ الاستعراضِ يكمنُ أقدمُ تخصُّصٍ اجتماعي، ألا وهو تخصصُ السلطة. لذا فإن الاستعراض هو نشاطٌ متخصصٌ يتحدث باسم مجموع الاخرين. إنه التمثيلُ الدبلوماسي للمجتمع المراتبي لدى نفسه، حيث يكون كلُّ حديثٍ آخر محظوراً. هنا نجد أن أشدَّ الأمورِ حداثةً هو أيضاً أشدُّها قِدَماً.

(٢٤)

الاستعراض هو الخطاب المتصل للنظام القائم عن نفسه، هو منولوجه التقريظي. إنه الصورة الذاتية للسلطة في حقبة إدارتها الشمولية لشروط الوجود. والتهذّي الصنعي للموضوعية الخالصة في العلاقات الاستعراضية يخفي طابعها كعلاقة بين البشر وبين الطبقات: يبدو أن طبيعةً ثانية تَحكُمُ بقوانينها القاتلة بيئتنا المحيطة. لكن الاستعراضَ ليسَ هذا النتاجَ الضروري للتصور التقني منظوراً إليه بوصفه تطوراً طبيعياً. فمجتمع الاستعراض، على العكس، هو الشكلُ الذي يختارُ محتواه التقنيَ الخاصّ. والاستعراضُ، مأخوذاً بمعناه الضيق ليعني «وسائل الاتصال الجماهيرية»، التي هي تبدِّيه السطحي الأشدُّ بريقاً،إذا كان يبدو أنه يتغلغل في المجتمع كمجرد أداة، فليست هذه الأداة محايدةً على الإطلاق، بل إنها نفسُ الأداة التي تلائم حركتَه الذاتيةَ الكليةَ. وإذا كانت الاحتياجات الاجتماعية للحقبة التي تتطور فيها تلك التقنيات لا يمكن إشباعها إلاّ من خلال تَوَسُّط تلك التقنيات، وإذا لم يعد من الممكن ادارةُ هذا المجتمع أو إقامة أي اتصال بين البشر الاّ من خلال وسيطٍ هو قوة الاتصال الفورى هذه، فهذا يرجع إلى أن هذا «الاتصال» أحادي الجانب من الناحية الأساسية بحيث أن تركز «الاتصال» يعودُ ليراكمَ في أيدي إدارة النظام القائم الوسائل التي تمكّنه من مواصلة هذه الإدارة المحدَّدة. إن الانقسامَ المُعمَّم للاستعراض لا ينفصلُ عن الدولة الحديثة، أي الشكل العام للانقسام داخل المجتمع، والتي هي نتاجُ تقسيمِ العمل الاجتماعي وأداةُ السيطرةِ الطبقية.

(٢٥)

الانفصال هو مبتدأ الاستعراضِ ومنتهاه. كان تَمأسُسُ التقسيم الاجتماعي للعمل، وتَشَكُّلُ

الطبقات قد أنتجا تأملاً مقدساً أولياً، هو النسقُ الأسطوريُ الذي تُغلِّفُ به كلُ سلطة نفسَها من البداية. وقد قدّم المقدسُ تبريراً للنظام الكوني والأنطولوجي الذي يتمشى مع مصالح السادة، فسَّرَ وجَمَّلَ ما لم يستطع المجتمع عمله. من هنا كانت كلُ سلطة منفصلة استعراضيةً، الأ أن تمسُّك الجميع بصورة ساكنة من هذا القبيل، لم يكن يعني سوى قبولاً عاماً باستمرار خيالي لبؤس النشاط الاجتماعي الفعلي، هذا البؤس الذي كان لا يزال يسودُ على نطاق واسع شعورٌ بأنه شرطٌ مُوَحَّد. أما الاستعراضُ الحديثُ فيُعبِّر، على العكس، عن ما يستطيع المجتمعُ عمله، لكن المسموح في هذا التعبير يقف في تعارض مطلق مع الممكن. الاستعراضُ هو الحفاظ على اللاوعي خلال التغيير العملي لشروط الوجود. إنه نتاجُ نفسه، وهو نفسُه الذي وضع قواعدَه: إنه مقدّسٌ - زائف. وهو يعرض ما يكونه: القوةَ المنفصلةَ وهي تتطورُ بذاتها، في نمو الإنتاجية بواسطة التحسين المستمر لتقسيم العمل إلى فتات من الإيماءات، تتحكم فيه عندئذ الحركة المستقلة للآلات؛ وفي العمل من أجل سوق تتسع باستمرار. يجرى تذويبُ كل جماعة اجتماعية وكل حَلٍ نقدي خلال هذه الحركة، التي لم تُوَحِّد خلالها بعدُ تلك القوى التي استطاعت النموَ خلال الانفصال.

(٢٦)

مع الانفصال المُعمَّم بين العامل وبين منتجاته، تصنيعُ كلُ نظرة توحيدية للنشاط المُنجَز، وكلُ تواصل شخصي مباشر بين المنتجين. ومع تقدّم تراكم المنتجات المنفصلة وتركُّز العملية الإنتاجية، تصبحُ الوحدة والاتصال خصائصَ حصريةً قاصرةً على إدارة النظام. إن نجاح النظام الاقتصادي للانفصال هو بَلْتَرَة(*) العالم.

(٢٧)

نتيجةٌ لنفس نجاح الانتاج المنفصل بوصفه إنتاجاً لما هو منفصل، فإن الخبرة المحورية المرتبطة في المجتمعات البدائية بعمل أساسي في طريقها للاستبدال، عند قمة تطور النظام، باللا-عمل، بالخمول. لكن هذا الخمول ليس متحرراً بأية حالٍ من النشاط الإنتاجي: فهو مُتوقِّفٌ عليه، إنه خضوعٌ قلق مشوبٌ بالاعجاب لضرورات ونتائج الإنتاج؛ انه هو نفسه نتاجُ لعقلانية الانتاج. لا يمكن وجودُ حرية خارج النشاط، وفي إطار الاستعراض يتمُ نفيُ كلُ نشاط، تماماً مثلما تم الاستيلاء على النشاط الواقعي بأكمله من أجل التشييد الشامل لهذه النتيجة. ومن هنا فإن «التحررَ من العمل» الآن، زيادة أوقات الفراغ، ليس على الإطلاق تحرراً داخل العمل، ولا تحرراً من عالمٍ صاغه هذا العمل. فلا يمكن استعادة شيء من النشاط المفقود في العمل عن طريق الخضوع لنتيجته.

(٢٨)

النظامُ الاقتصاديُ القائمُ على أساس العزلة هو إنتاجٌ دائريٌ للعزلة. فالعزلة تُشكِّل أساسَ التقنية، والعمليةُ التقنية تعزلُ بدورها. ومن السيّارة حتى التلفزيون، فإن كل السلع المنتقاة من جانب النظام الاستعراضي هي أيضاً أسلحتُه للتدعيم الدائم لشروط عزلة «الجماهير المستوحدة». باستمرارٍ يعيد الاستعراض اكتشافَ افتراضاته الخاصة على نحو أكثر تعيُّناً.

(*) جعله بروليتاريا - م

(٢٩)

أصل الاستعراض هو فُقدانُ وحدة العالم، والتوسع الهائل للاستعراض الحديث يعبر عن المدى الكلي لهذا الفقدان: إذ أن تجريدَ كلِّ عملٍ نوعي والتجريد العام للإنتاج الكلي يجدُ ترجمةً أمينةً له في الاستعراض، حيث يكون نمط الوجود المتعين هو التجريد على وجه الدقة. داخل الاستعراض، يمثلُ جزءٌ من العالم نفسَه أمام العالم، وهو أرقى منه. وما الاستعراض الا اللغة المشتركة لهذا الانفصال. وما يربط بين المشاهدين ليس سوى ارتباط لا يقبل الانعكاس بنفس المركز الذي يُديمُ عزلتهم. الاستعراضُ بعيدٌ توحيدَه بوصفه منفصلاً.

(٣٠)

يمكن التعبيرُ عن استلاب المتفرج لصالح الشيء موضوع التأمل (والذي هو نتيجةٌ لنشاطه اللاواعي) على النحو التالي: كلما تأمّلَ أكثر، كلما عاش أقل؛ وكلما زاد قبوله لأن يتعرف على نفسه في صور الاحتياج besoin السائدة، كلما قل فهمه لوجوده هو ورغبته هو. وتتجلى خارجية l'extériorité الاستعراض بالنسبة للشخص النشيط في كون إيماءاته ذاتها لم تعد تخصه، بل تخص شخصاً آخر يمثلها لديه. لهذا السبب لا يحس المتفرجُ بأنه في داره في أي مكانٍ على الإطلاق، فالاستعراض موجود في كل مكان.

(١٣)

لا ينتجُ العاملُ نفسَه بنفسه، بل ينتج قوةً مستقلة. ونجاحُ هذا الإنتاج، وفرتُه، يرتدُّ إلى المنتج بوصفه وفرةً الحرمان abondance de la dépossession يصبح كلُّ الزمان والمكان في عالمه غريبين عنه مع تراكم منتجاته المستَلبة. والاستعراضُ هو خريطة هذا العالم الجديد، خريطةٌ تُغطي مجالها تماماً. نفس القوى التي أفلتت منا تتراءى لنا بكل عنفوانها.

(٣٢)

الاستعراضُ في المجتمع بمثابة تصنيع عياني للاستلاب. والتوسعُ الاقتصادي هو أساساً التوسعُ في هذا الإنتاج الصناعي النوعي. وما ينمو مع الاقتصاد في حركته من أجل ذاته لا يمكن أن يكون سوى الاستلاب الذي كان كامناً بالضبط داخل نواته الأصلية.

(٣٣)

الإنسانُ المنفصلُ عن انتاجه، ينتجُ هو نفسُه كلَّ تفاصيل عالمه بقوة متزايدة، وهكذا يجد نفسه منفصلاً بصورة متزايدة عن عالمه. بقدر ما تكون حياتُه الآن نتاجاً له، بقدر ما يتزايد انفصالُهُ عن حياته.

(٣٤)

الاستعراضُ هو رأس المال وقد بلغ من التراكم حداً تحولّ عندهُ إلى صورة.



(٢)

السلعة بوصفها استعراضاً

«لأنه لا يمكن فهم السلعة في جوهرها الأصيل الأ بوصفها مقولةً عامةً للوجود الاجتماعي الكلّي. في هذا السياق وحده يكتسبُ التشيؤُ الناشيء عن العلاقات السلعية دلالةً حاسمةً، بالنسبة للتطوّر الموضوعي للمجتمع وكذلكَ بالنسبة للموقف الذي يتّخذهُ الناسُ إزاءَه، أي بالنسبة لإخضاع وعيهم للأشكال التي يُعبّر بها هذا التشيؤ عن نفسه. هذا الإخضاعُ يظلُ يتنامى نظراً لأنه كلما ازدادت عقلنة وميكنة العمل، كلما فقد نشاطُ العامل طابع كونه نشاطاً ليصبح موقفاً تأملياً.»

لوكاتش
(التاريخ والوعي الطبقي)

(٣٥)

في هذه الحركة الجوهرية للاستعراض، التي تتمثل في تَلَفُّفه لكل ما كان يوجد في النشاط الإنساني في حالة سائلة، ليتملّكه في حالة مُتَجلِّطة، كأشياء أصبحت هي القيمة الوحيدة عن طريق صياغتها السالبة للقيمة المعاشة، في هذه الحركة نتعرف على عدّونا القديم الذي يعرف جيداً كيف يبدو لأول وهلة شيئاً تافهاً وبديهياً، بينما هو على العكس بالغ التعقيد وشديد الامتلاء بالرهافات الميتافيزيقية: إنه هو السلعة.

(٣٦)

إن مبدأ صنميّة السلعة، أي السيطرة على المجتمع بواسطة «أشياء تفوق الحواس وهي محسوسةٌ كذلك»، هذا المبدأ هو ما يبلغُ تحققَهُ المطلقَ في الاستعراض، حيث يُستَبدَلُ العالم المحسوسُ بمقتطفٍ من الصور التي توجدُ فوقه والتي تقدم نفسها ذاته على أنها هي المحسوس بلا منازع .

(٣٧)

العالمُ الحاضرُ والغائب في آن واحد والذي يجعله الاستعراضُ مرئياً هو عالمُ السلعة الذي يسيطرُ على كل ما هو مُعاشٌ. هكذا فإن عالمَ السلعة يظهرُ كما هو، لأن حركته تتماثَل مع تَبَاعُد l'éloignement البشر فيما بينهم وفي مواجهة ناتجهم الكلّي.

(٣٨)

إنّ فقدانَ النوعية، البالغَ الوضوح على كلّ مستويات اللغة الاستعراضية، لايفعلُ، بدءاً من الأشياء التي يمتدحها وحتى السلوكات التي ينظمّها، سوى ترجمة القسمات الأساسية للإنتاج الواقعي الذي يزيحُ الواقعَ جانباً: ان شكلَ - السلعة مكافيءٌ لنفسه بكل المعاني، إنه مقولةُ الكمّي. وهو يطوِّر الكمّي، ولا يستطيعُ التطورَ إلاّ في داخله.

(٣٩)

هذا التطور الذي يستبعد ما هو نوعي خاضعٌ هو نفسه، بوصفه تطوراً، للتحول النوعي: فالاستعراضُ يعني أنه قد تخطّى عتبةً وفُرِّقه الخاصة؛ وهذا لم يعد بعد صحيحاً على المستوى

المحلي الا في بعض النقاط، لكنه صحيحٌ فعلاً على المستوى الكوني الذى هو السياقُ الأصلي للسلعة، السياق الذي أثبتته حركتها العملية التي تضمُ الكرةَ الأرضية بأسرها كسوقٍ عالمية.

(٤٠)

كان تطور قوى الإنتاج هو **التاريخ الواقعي اللاواعي** الذي أقام وعدّل شروط وجود الجماعات البشرية بوصفها شروط بقاء، وَوَسَّعَ هذه الشروط: إنه الأساس الاقتصادي لكل أعمال تلك الجماعات. وفي إطار اقتصاد طبيعي، كان القطاع السلعي يمثّل تكوين فائض عن احتياجات البقاء. أما الإنتاج السلعي، الذي يتضمنَ تبادلَ منتجات متنوعة بين منتجين مستقلين، فقد أستطاع أن يظلّ حرَفياً لزمن طويل، متضمِّناً في إطار وظيفة قتصادية هامشية تكون فيها حقيقته الكمّية مازالت مُقَنَّعة. لكن حين صادف الإنتاجُ السلعُي الشروطَ الاجتماعية للتجارة على نطاق واسع ولتراكم رؤوس الأموال، استولى على السيطرة الكاملة على الاقتصاد. ومن ثم، تحولَ الاقتصادُ برمّته ليصبح ما كشفت السلعةُ في سياق تلك السيطرة أنه جوهُها: أي عمليةُ تطورٍ كمّي. هذا التوسّعُ الدائم للقوة الاقتصادية تحت شكل السلعة، والذي حولّ العملَ الإنساني إلى عملٍ - سلعة، إلى عملٍ مأجور، أدى تراكمياً إلى وفرة لا شك أن السؤالَ الأولىَ للبقاء وجد في ظلّها حلاً، لكن على نحوٍ يجعل من الضروري إعادة اكتشافه على الدوام؛ إذ يُعاد طرحه في كل مرة على مستوى أرقى. إن النمو الاقتصادى يحرِّرُ المجتمعات من ضغط الطبيعة الذي استلزمَ صراعَها المباشرَ من أجل البقاء، لكنها لم تتحرر من مُحرِّرها ذاته. حيث أن استقلال السلعة يتسعُ ليشملَ مجملَ الاقتصاد الذي تحكُمه. الاقتصاد يُغيِّر العالم، لكنه يُغيِّره فقط إلى عالمٍ للاقتصاد.

والطبيعة - الزائفة التي يجرى في نطاقها استلابُ العمل الإنساني تُطالب بمواصلة خدْمتها إلى مالانهاية، وهذه الخدمة، التي لايحاكمها ويبرئها سوى ذاتها، تستحوذُ فعلياً على مجمل الجهود والمشروعات المشروعة اجتماعياً لتجعلها خَدَماً لها. إن وفرةَ السلع، أي وفرةَ العلاقات السلعية، لا يمكن إلاّ أن تكون بَقَاءً مُوَسَّعاً. survie augmentée.

(٤١)

في البداية كانت سيطرةُ السلعة تُمارسُ بطريقة خفيّة على الاقتصاد، الذي ظل هو نفسُه، بوصفه الاساسَ الماديَ للحياة الاجتماعية، غير مُدْرَك وغير مفهوم، مثل قريبٍ لاتعرفه الأسرةُ بالضرورة. وفي مجتمعٍ مازالت فيه السلعةُ العينية نادرةً أو غير مألوفة، فإن السيطرة الظاهرة للنقود هي التي تُقدِّم نفسها بوصفها رسولاً يتمتع بسلطات مطلقة يتحدث باسم قوة غير معروفة. أما مع الثورة الصناعية وتقسيم العمل في الصناعات والإنتاج الكبير للسوق العالمية، فإن السلعةَ تظهر فعلاً، بوصفها قوةً تأتي فعلياً كي تحتلّ الحياةَ الاجتماعية. ومن ثم، يتشكّل الاقتصادُ السياسي، كعلمٍ مُسيطِرٍ وكَعلمٍ للسيطرة.

(٤٢)

الاستعراض هو اللحظة التي تُحقّق فيها السلعةُ احتلالَها الكلّي للحياة الاجتماعية. لا تصبحُ العلاقةُ بالسلعة مرئيةً فحسب، بل إن المرء لا يعود باستطاعته أن يرى سواها: فالعالمُ الذي يراه هو عالمها. يُوسِّع الإنتاجُ الحديث دكتاتوريتهَ بطريقةٍ شاملةٍ ومكثفة. وفي المواقع الأقل تصنيعاً،

تتمثل سيطرته بالفعل من خلال بضع سلع - نجوم marchandises - vedettes ومن خلال السيطرة الإمبريالية للمناطق التي تحتلُّ قمّةَ التطور في الإنتاجية. أما في هذه المناطق المتقدّمة، فيتشبّعُ المجالُ الاجتماعي بتراكبٍ مُتّصلٍ لطبقاتٍ جيولوجية من السلع. عند هذه النقطة من «الثورة الصناعية الثانية»، يصبحُ الاستهلاكُ المُستَلَبُ بالنسبة للجماهير بمثابة واجبٍ مُكَمِّلٍ للإنتاج المُستَلَب. **إن كل العمل المُباع** لمجتمعٍ مُعيَّن هو ما يصبحُ بشكلٍ شامل السلعةَ الكُلّية التي يجب مواصلة الدورة من أجلها. ولعمل ذلك، يجب أن تعود هذه **السلعة الكلية** بشكل مُفَتَّت إلى الفرد المُفَتَّت، المنفصل تماماً عن قوى الإنتاج التي تعملَ ككلٍ واحد. هنا، إذن يجب على العلم المتخصّص في السيطرة أن يتخصّصَ بدوره: إنه يُفتّتُ نفسَه إلى سوسيولوجيا، وتقنية سيكولوجية، وسيبرنطيقا، سيميولوجيا، إلى آخره، ليسهر على الضبط- الذاتي لكل مستويات العملية.

(٤٣)

بينما في المرحلة البدائية للتراكم الرأسمالي «لايرى الاقتصادُ السياسي في **البروليتاري** سوى **العامل**»، الذي يجب أن يتلقى الحدَّ الأدنى الضروري للحفاظ على قوة عمله، دون النظر إليه أبداً «في أوقات فراغه، وفي إنسانيته»، فإن هذا الطرحَ لأفكارِ الطَبقة المسيطرة سرعان ما ينعكسُ فوراً أن يبلغَ الإنتاجُ السلعيُ درجةً من الوفرة تتطلبُ فائضاً من التعاون من العامل. هذا العامل الذي أحلَّ بغتةً من الاحتقار الكلّي الذي يلقاه بوضوح من كل ضروب تنظيم والإشراف على الإنتاج، يجد أنه، يومياً، خارجَ الإنتاج وتحت قاع المستهلك، يُعامَلُ كشخصٍ بالغٍ بأدب جَمّ. عند هذه النقطة تتولى **إنسانيةُ السلعة** على عاتقها «أوقاتَ فراغ وإنسانية» العامل، لسببٍ بسيط هو أن الاقتصادَ السياسيَ يستطيعُ ويجب الآن أن يسيطرَ على هذه المجالات **بوصفه اقتصاداً سياسياً**. وهكذا تولى «الإنكار المكتمل للإنسان» على عاتقه الوجودَ الإنساني برمته.

(٤٤)

الاستعراضُ هو حربُ أفيونٍ دائمة تستهدفُ إجبارَ الناس على قبول التماهي بين الأشياء والسلع، وبين الإشباع والبقاء الذي يتزايد وفق قوانينه الخاصة. لكن، اذا كان البقاء القابل للاستهلاك شيئاً يجب أن يتزايد باستمرار، فذلك راجع إلى أنه يظل يتضمّن الحرمان. وإذا لم يكن ثمة شيءٌ فيما وراءَ البقاء الموسّع، اذا لم يكن ثمة نقطةٌ يمكنُ أن يتوقفَ عندها عن النمو، فليس ذلك راجعاً إلى أنه يتجاوزُ الحرمان، بل لأنه هو نفسُه الحرمانُ وقد أصبح أكثر ثراءً.

(٤٥)

مع إدخال الأتمته l'automation، التي هي في آن واحد أكثرُ قطاعات الصناعة تقدماً والنموذجُ الذي يلخّصُ ممارستَها تلخيصاً تاماً، أصبحَ على عالم السلعة أن يتجاوزَ التناقضَ التالي: أن المعدّاتَ التقنية التي تُلغي العمل موضوعياً يجب في نفس الوقت أن تحافظَ على العمل **بوصفه سلعةً**، وموضوعاً وحيداً لميلاد السلعة. وحتى لا تقوم الأتمته، أو أي شكل آخر أقل تطرفاً لتنمية إنتاجية العمل، بالتقليل فعلياً من وقت العمل الاجتماعي الضروري على مستوى المجتمع، فمن الضروري خلق وظائفَ جديدة. والخدماتُ، القطاعُ الثالث، هي التعزيزُ الهائل لصفوفِ جيشِ توزيع وامتداح

السلع الراهنة؛ هي إستنفارٌ لقوات إضافية نجدُ أنها ملائمةٌ لتنظيم العمل - الزائد الذى تتطلبه الاحتياجات المصطنعة لتلك السلع.

(٤٦)

لم تستطع القيمة التبادلية أن تظهرَ سوى بوصفها وسيطاً للقيمة الاستعمالية، الاّ أن انتصارَها بأسلحتها الخاصة خلق شروطَ سيطرتها المستقلة. وعن طريق استنفارِ كل استعمال إنساني واحتكار إشباعه، انتهى الأمرُ بالقيمة التبادلية إلى **توجيه الاستعمال**. تماهت عمليةُ التبادل مع كل استعمال محتمل، ووضعت الاستعمال تحت رحمة التبادل. القيمة التبادلية هي المرتزق condottiere لدى القيمة الاستعمالية، الذي انتهى به الأمرُ إلى شنِ الحرب لحسابه الخاص.

(٤٧)

إن ميلَ القيمة الاستعمالية للتدهور، هذا الثابتُ من ثوابت الاقتصاد الرأسمالي، يُطوّرُ شكلاً جديداً للحرمانِ في قلب البقاء الموسّع ، حرمانٌ ليس شديدَ الاختلاف عن النُدرة pénu-ric القديمة حيث أنه يتطلب مشاركةَ الغالبية العظمى من البشر، كعُمّالٍ مأجورين، في الجهد اللانهائي لتحقيقه، وحيث أن كل واحد يعرف أن عليه إمّا أن يخضعَ له أو يموت. وواقع هذا الابتزاز، حقيقة أن الاستعمالَ أشد أشكاله بؤساً (المأكل، والمسكن) لم يعد يوجدُ سوى سجيناً داخلَ الثراء الوهمي للبقاء الموسّع، هو الأساسُ الواقعي لقبول الوهم عموماً في استهلاك السلع الحديثة. يتحول المستهلكُ الواقعيُ إلى مستهلكٍ للأوهام. والسلعةُ هي هذا الوهمُ الواقعي فعلاً، والاستعراضُ هو تبدّيه العام.

(٤٨)

في الواقع المقلوب للاستعراض، يجب الآن المُناداةُ صراحةً بالقيمة الاستعمالية التي كانت متضمّنةً ضمنياً في القيمةَ التبادلية، وذلك بالضبط لأن واقعَها الفعليَ قد آبلاء الاقتصادُ السلعيُ المفرطُ التطور؛ وكذلك لأن الحياةَ الزائفةَ تتطلب تبريراً زائفاً.

(٤٩)

الاستعراضُ هو الوجهُ الآخر للنقود: هو المُكافيءُ العام المجرّدُ لكل السلع. لكن إذا كانت النقودُ قد سيطرت على المجتمع بوصفها تَمثيلاً للتكافؤ المحوري، أي للطابع التبادلي لسلعٍ مختلفة لا يمكن المقارنةُ بينَ استعمالاتها، فإن الاستعراضَ هو التَتِمّةُ الحديثة المتطورة للنقود حيث يظهرُ مجموعُ العالم السلعي ككل، كمكافيءٍ عام كما يمكن لمجموع المجتمع أن يكونهُ وأن يفعله. الاستعراضُ هو النقود التي يُنظرُ إليها فقط، حيث أن الاستعمال في مجموعه مُستَبدَلٌ فيها فعلاً مقابل التمثيل المجرد في مجموعة. الاستعراض ليس مجرد خادمٍ **للاستعمال - الزائف**، بل إنه هو نفسه فعلاً الاستعمال - الزائف للحياة.

(٥٠)

في **لحظة الوفرة الاقتصادية**، تصبحُ النتيجةُ المركزةُ للعمل الاجتماعي بادية للعيان وتُخضع كلَّ واقعٍ للتبدّي، الذي هو نتاجُها الآن. لا يعودُ رأسُ المال ذلك المركزَ اللامرئي الذي يوجّه

نمطَ الإنتاج: إذ أنّ تراكمهُ ينشرهُ حتى الأطرافِ في شكل أشياء ملموسة. وصورتُه هي كل امتداد المجتمع.

(٥١)

لابد أن يكون انتصار الاقتصاد المستقل هو هزيمته في نفس الوقت. فالقوى التي أطلقها من عقالها تلغي الضرورة الاقتصادية التي كانت الأساس الراسخ للمجتمعات الأقدم. وحين يستبدلها بضرورة التطور الاقتصادي اللاتهائي، فلابد أن يستبدلَ إشباعَ الحاجات الإنسانية الأولية المعترف بها بشكل عابر، باختلاقٍ غير منقطعٍ لحاجات - زائفة تعيدنا من جديد إلى الحاجة - الزائفة الوحيدة للحفاظ على هيمنة الاقتصادَ المستقل. لكن الاقتصاد المستقل يُفلتُ بشكل دائم من الحاجة الجوهرية بقدر ما ينبعث من اللاوعي الاجتماعي الذي كان يعتمد عليه دون أن يدرى. «كل ما هو واعٍ يتآكل. وما هو واعٍ يظلُّ على حاله. لكن إذا حدث أن انطلق، أفلايتساقط حطاماً هو الآخر؟ » (فرويد).

(٥٢)

فور أن يكتشفَ المجتمعُ أنه يعتمدُ على الاقتصاد، فإن الاقتصادَ يعتمدُ عليه، في الحقيقة. هذه القوةُ الدفينة، التي نمت حتى بدت ذاتَ سيادة، تكونُ قد فقدت قوتها بدورها. وحيث كان ثمة ذاك الاقتصادي يجب أن تأتي الـ أنا. فلايمكن أن تنبعث الذات إلاّ من المجتمع، أي من الصراع الدائر داخل المجتمع. ووجودها المحتمل متوقفٌ على نتائج الصراع الطبقي الذي يتكشف على أنه ناتجٌ ومُنتجُ الأساسِ الاقتصادي للتاريخ.

(٥٣)

وعيُ الرغبة ورغبةُ الوعي هما على نحوٍ متطابقٍ ذلك المشروعُ الذي يُريد، في صورته السلبية، إلغاء الطبقات، أي إمتلاكَ العمالِ المباشر لكلِّ لحظات نشاطهم. وتقهقرُهُ هو مجتمعُ الاستعراض، حيث تتأمّلُ السلعة ذاتها في عالمٍ من خَلْقِها.

(٣)

الوحدة والانقسام داخل التبدّي

«يدور في البلاد جدال جديد محتدم، على جبهة الفلسفة، حول مفهومي «الواحد ينقسم إلى اثنين» و«الاثنان يندمجان في واحد». هذا السجال هو صراع بين من يؤيدون ومن يعارضون الجدل المادي، صراع بين مفهومين للعالم: المفهوم البروليتاري والمفهوم البرجوازي. والقائلون بأن «الواحد ينقسم إلى اثنين» هو القانون الأساسي للأشياء يقفون في جانب الجدل المادي؛ والقائلون بأن القانون الأساسي للأشياء هو «الاثنان يندمجان في واحد» هم ضد الجدل المادي. وقد رسم الجانبان خطاً فاصلاً واضحاً بينهما، وحججهما على طرفي نقيض. هذا الجدال يعكس على المستوى الايديولوجي الصراع الطبقي الحاد والمعقّد الدائر في الصين وفي العالم.»

العلم الأحمر، بكين
٢١ سبتمبر ١٩٦٤.

(٥٤)

إن الاستعراضَ، مثلَ المجتمع الحديث، موحّد ومنقسمٌ في آنٍ واحد. ومثل المجتمع الحديث، فإنه يقيمُ وحدتَهُ على التمزّق. لكن التناقضَ، حين يظهرُ في الاستعراضِ، يناقضُه بدوره قلبٌ لمعناه، بحيث يكونُ الانقسامُ الظاهرُ توحيداً، بينما الوحدةُ الظاهرةُ منقسمةٌ.

(٥٥)

صراعُ القوى المؤسسة لإدارة نفسِ النسقِ الاجتماعي - الاقتصادي هو ما يتم نشرُهُ بوصفه التناقضَ الرسميَ لكنه في الحقيقةِ جزءٌ من الوحدةِ الفعليةِ - على مستوى العالم وكذلك داخل كلِّ أمّة.

(٥٦)

إن الصراعات الاستعراضية الزائفة لأشكالٍ متنافسة من القوى المنفصلة هي في نفس الوقت واقعيةٌ، من حيث أنها تُترجمُ التطورَ غيرَ المتكافئ، والتناحري للنسق، المصالحَ المتناقضةَ فيما بينها لطبقاتٍ ولأقسامٍ فرعية من طبقات تعترف بالنسق، وتُعرِّفُ نفسَها على أنها مُشاركةٌ في سلطته. وكما أن تطورَ الاقتصادِ الأكثر تقدماً هو صدامٌ بين بعض الأولويات وغيرها، فإن الإدارة الشموليةَ للاقتصادِ من جانب بيروقراطية دولةٍ ووضعَ البلدانِ الخاضعة للاستعمار أو شبه - الاستعمار يتحدّدانِ بسماتٍ نوعية معينة ضمن تنويعات الإنتاج والسُلطة. هذه التعارضات المختلفة يمكنُ في الاستعراضِ أن تنتحلَ، طبقاً لمعايير مختلفةٍ تماماً، صفةَ أشكالٍ متمايزة تماماً من المجتمع. لكن بناءً على واقعها الفعلي، فإن حقيقة السمات النوعية الخاصة لكل هذه القطاعات النوعية تكمنُ في النسق العام الذي يحتويها: تكمنُ في الحركة الفريدة التي تجعلُ من الكوكب مجالَها، أي الرأسمالية.

(٥٧)

لا تسيطرُ المجتمعاتُ الحاملةُ للاستعراضِ على الأقاليم المتخلّفة عن طريق هيمنتها الاقتصادية فحسب. بل تسيطرُ عليها بوصفها مجتمعَ الاستعراض. وقد غزا المجتمعُ الحديثُ بالفعل السطحَ الاجتماعي لكل قارّةٍ بواسطة الاستعراض، حتى حيث يكون الأساس الاقتصادي لذلك مازال غائباً. وهو يُحدِّد برامجَ الطبقةِ الحاكمة ويُشرفُ على تشكيلها. ومثلما يُقدِّمَ السلعَ الزائفة لتكونَ

مُشتهاةً، فإنه يُقدِّمُ للثوريين المحليين النماذجَ الزائفةَ للثورة. واستعراضُ السلطة البيروقراطية التي تُمسكُ بزمام بعض البلدان الصناعية، هو جزءٌ متكاملٌ من الاستعراض محلياً، فإنه يُظهرُ تخصصات شمولية معينة للاتصال والإدارة الاجتماعيين، لكن حين يُنظرُ إليه على مستوى الأداء الكلّي لمجملِ النظام، فإن هذه التخصُّصات تندمج في تقسيم عالمي للمهام الاستعراضية.

(٥٨)

يحافظ تقسيمُ المهام الاستعراضية على مجمل النظام القائم لكنه يحافظ أساساً على القُطب المهيمن لتطوره. ويكمنُ جذرُ الاستعراض في مجال الاقتصاد الذي صارَ مزدهراً، ومنه تنتجُ الثمارُ التي تنجو في النهاية إلى السيطرة على السوق الاستعراضية، برغم حواجزِ الحماية الايديولوجية - البوليسية لأيّ استعراضاتٍ محلّية تطمحُ إلى الحكم المطلق.

(٥٩)

تحت التسليات البراقة للاستعراض، تسيطرُ حركةُ الابتذال على المجتمع في العالم كله، كما تسيطرُ عليه في كل نقطة يكونُ فيها الاستهلاك المتطوّرُ قد ضاعف ظاهرياً الأدوارَ والأشياءَ التي يجري الاختيارُ بينها. والبقايا الباقية من الدين والعائلة - حيث يكمن الشكل الرئيسي لتراث السلطة الطبقية - ومن القمع المعنوي الذي تضمنُه، تندمجُ معاً حين يجرى التأكيدُ القاطع لمتعة هذا العالم، هذا العالم الذي لم يَنْتُج سوى بوصفه مُتعةً - زائفة قمعية. والقبولُ الراضي لما هو موجودٌ يمكن كذلك أن يندمجَ مع التمرّد الاستعراضي المحض: ويعكسُ هذه الحقيقةَ البسيطةَ في أن السخطَ نفسَه يصبحُ سلعةً حالما تتمكن الوفرةُ الاقتصادية من توسيع الإنتاج ليشملَ تشغيلَ مثل هذه المادة الأوّلية.

(٦٠)

في شخصية النجم، التي هي التمثيلُ الاستعراضي للإنسان الحي، يتجسّدُ هذا الابتذال عن طريق تجسيدها لصورة دورٍ ممكن. ويعني كونُ المرء نجماً التخصُّصَ في المُعاش ظاهرياً. فالنجمُ هو موضوع التماهي مع الحياة الظاهرية الضحلة، التي يجب أن تُعوِّضَ تَفَتُّتَ التخصّصات الانتاجية المُعاشَة فعلاً. ويوجد النجوم لكي يُجسِّدوا أنماطاً مختلفة من أساليب الحياة وأساليب فهم المجتمع، حرّةً في التعبير عن نفسها بشكل شامل. إنهم يُجسِّدونَ النتيجةَ التي يتعذّرُ بلوغها للعمل الاجتماعي عن طريق إضفاء الدرامية على النتاجات الثانوية لهذا العمل وقد تسامت فوقه بوصفها غايته: السُّلطةُ والعُطلاتُ، القرار والاستهلاك، اللذان هما بداية ونهاية عملية لا تخضعُ للنقاش. في الحالة الأولى، تجسّد سلطةُ الدولة نفسها كنجم - زائف؛ وفي الحالة الثانية، يتم انتخابُ نجم الاستهلاك كسلطة - زائفة على ما هو مُعاش. لكن، بقدر ما نجد أن نشاطات النجم ليست شاملةً فعلاً، فإنها ليست متنوعةً حقاً.

(٦١)

إن وسيطَ الاستعراضِ الموضوعَ على المسرح بوصفه نجماً هو نقيضُ الفرد، هو عدُوّ الفرد في ذاته وكذلك في الآخرين. ويدخوله إلى الاستعراض بوصفه نموذجاً للتماهي، يتخلّى هذا الوسيطُ عن

كل خصائصه المستقلة لكي يتماهى هو نفسُه مع القانون العام لإطاعة مسار الأشياء. إن نجم الاستهلاك، بوصفه التمثيلَ السطحي لأنماط مختلفة من الشخصية، يبيّنُ أن لكل واحد من هذه الأنماط فرصةً متساوية للوصول إلى مجمل الاستهلاك، والعثور هناك على سعادة مماثلة. أما نجمُ القرار فلابد له من امتلاك مخزون كامل من السمات الإنسانية المقبولة. والاختلافاتُ الرسميةُ بين النجوم يُلغيها التماثل الرسمي، الذي هو الافتراضُ المسبق بامتيازهم في كل شيء. وقد أصبحَ خروشوف چنرالاً يتخذ القرارات في معركة كورسك، ليس في موقع المعركة، بل في ذكراها العشرين، حين أصبحَ سيدَ الدولة. وقد ظلَّ كينيدي خطيباً إلى حدّ إلقاء خطاب تأبينه على قبره ذاته، حيث أن تيودور سورنسن واصلَ إلى تلك اللحظة كتابةَ الخُطب لخليفته بالأسلوب الذي ميّزَ شخصية المتوفى. والناسُ المثيرونَ للإعجاب الذين يُجسّدُ النظامُ نفسَه فيهم معروفون جيداً بأنهم ليسوا ماهم عليه؛ وقد صاروا عظماء بتدنّيهم إلى مستوى أدنى من واقع أتفه حياةٍ فردية، ويعرف الجميع ذلك.

(٦٢)

إن الخيارَ الزائف ضمنَ الوفرة الاستعراضية، وهو الخيارُ الذي يكمن في التعارض بين استعراضات متنافسة ومُكمّلة لبعضها وكذلك في التعارض بين الأدوار (التي تعنيها وتحملها الأشياء أساساً التي هي في نفس الوقت حصريةٌ ومتراكبةٌ. هذا الخيار يتطور إلى صراع بين سمات شبحية تستهدفُ حفزَ الولاء للتفاهة الكمّية. هكذا تنبعثُ من جديد تضادات عتيقة زائفة، نزعات إقليمية أو عرقية مهمتها رفعُ ابتذال المواقع المراتبية للاستهلاك إلى مرتبة تفوّق أنطولوجي وهمي. هكذا تتشكّلُ من جديد السلسلة التي لا تنتهي من المواجهات الهزلية، من رياضات المنافسة وحتى الانتخابات، مُستنفرةً أهتماماً أدنى من اللعب. وحيثما وُجدَ استهلاكٌ مزدهر، يبرزُ تضادٌ استعراضي أساسيٌ بين الفتيان والبالغينَ إلى صدارة الأدوار الزائفة: وهي زائفةٌ لأن البالغَ، سيّدَ حياته، لايوجدُ في أي مكان، ولأنّ الفتوة، التي هي تغييرُ ماهو قائم، ليست على الإطلاق سمةً من هُم الآن فتيةً، بل سمةُ النظام الاقتصادي، سمة دينامية الرأسمالية. الأشياءُ هي التي تسيطرُ وهي الفَتيةُ؛ هي التي تُطاردُ بعضها وتحلُّ محلَّ بعضها.

(٦٣)

وحدةُ البؤس هي ما يختبئُ تحت التعارضات الاستعراضية. وإذا كانت أشكالٌ متنوعة لنفس الاستلاب تُنازلُ بعضَها تحت أقنعة الخيار الكلي، فذلك لأنها جميعاً مُقامةٌ على تناقضات حقيقية مكبوتة. ويوجد الاستعراضُ في حالة مُركّزة أو في حالة منتشرة، وفق ضرورات المرحلة المعيّنة للبؤس الذي يُنكره الاستعراضُ ويدعمه. وفي كلتا الحالتين، لايعدو الاستعراضُ كونَه صورة توحيدٍ سعيدٍ تَحوطُه الوحشةُ والفزع، في المركزِ الهادئ للبؤس.

(٦٤)

ينتمي الاستعراضُ المُركّز إلى الرأسمالية البيروقراطية أساساً، رغم أنه قد يتم استيراده كتقنية لسُلطة الدولة في إقتصادات مختلطة أكثر تخلّفاً، أو في لحظات أزمة معينة في الرأسمالية المتقدمة. وفي الحقيقة، فإن الملكية البيروقراطية هي نفسها مُركّزة بحيث لا تكون للبيروقراطي الفرد علاقة

بملكية الاقتصاد الكليّ إلاّ من خلال وسيط، هو الجماعة البيروقراطية، وبوصفه عضواً في هذه الجماعة. وعلاوة على ذلك، فإن إنتاج السلع، الذي هو أقل تطوراً في الرأسمالية البيروقراطية، يأخذ كذلك شكلاً مُركّزاً: فالسلعة التي تتمسك بها البيروقراطية هي العمل الاجتماعي الإجمالي، وماتُعيد بيعه إلى المجتمع هو البقاء بالجملة. ولاتستطيع ديكتاتورية الاقتصاد البيروقراطي أن تترك للجماهير المستَغَلّة أي هامش ملحوظ للاختيار، لأن على البيروقراطية نفسها أن تختار كل شيء، ولأن أي خيار آخر خارج عنها، سواء كان يخص الطعام أو الموسيقى، يكون بالفعل خيار تدميرها التام. ولابد لهذه الديكتاتورية أن يلازمها عنفٌ دائم. والصورة المفروضة للخير، في استعراضها، تضم مجمل مايوجد رسمياً، وعادة ماتتركّز في شخص واحد، هو الضامن لتلاحمها الشمولي. ويجب على كل شخص أن يتماهى بصورة سحرية مع هذا النجم المطلق، أو أن يختفي. فهذا النجم هو سيّد اللا-استهلاك، هو الصورة البطولية التي تُضفي معنى مقبولاً على الاستغلال المطلق الذي يعنيه في الحقيقة التراكمُ الأولي المتسارعُ بواسطة الإرهاب. وإذا كان يتوجب على كل صيني أن يتعلم ماوMao، وأن يصبح بذلك ماو، فذلك لأنه **لايستطيع أن يكون شيئاً آخر**. حيثما يسيطر الاستعراض المُركّز، تُسيطر الشُرطة كذلك.

(٦٥)

يرافق الاستعراضُ المنتشر ازدهار السلع، تطوّرَ الرأسمالية المتقدمة الذي لا يعكّر صفوه شيء. هنا، تُبرّرُ كل سلعة مُفردة نفسها باسم عَظَمة إنتاج مجمل الأشياء، التي يكون الاستعراض بمثابة كتالوج تبريري لها. على مسرح الاستعراض الموحّد للاقتصاد المزدهر، تزدحم ادعاءات متضاربة، وفي الوقت نفسه، تدعم سلعٌ-نجومٌ مختلفةٌ مشروعاتها المتناقضة لتعديل المجتمع: فاستعراض السيارات يستلزم شبكةَ مرورٍ مكتملة تُدمّر المدنَ القديمة، بينما يتطلب استعراضُ المدينة نفسها وجودَ أحياء-متاحف. ومن ثم، يكون الاشباعُ، الإشكالي بالفعل، والمفترضُ فيه أن ينشأ عن **استهلاك المجموع**، مُزيفاً على الفور حيث أن المستهلك الفعلي لايمكنه أن يلمس مباشرةً سوى تتابع من شذرات هذه السعادة السلعية، شذرات يكون بديهياً فيها في كل مرةٍ أن النوعية المنسوبة إلى المجموع غائبة.

(٦٦)

تقاتل كلُ سلعة محددة من أجل ذاتها، فلايمكنها الاعتراف بالأخريات، وتحاول أن تفرض نفسها في كل مكان وكأنها هي الوحيدة. الاستعراض، إذن، هو النشيد الملحمي لهذا النزال، الذي لا يمكن أن يُنهيه سقوط أي طروادة. ولايتغنّى الاستعراض بالبشر وأسلحتهم، بل بالسلع وأهوائها. وخلال هذا القتال الأعمى، تُحققُ كل سلعة بالفعل في اللاوعي، وهي تتّبع أهواءها، شيئاً أكثر سمواً: هو تحوّل السلعة. هكذا، وعن طريق **خدعة للمنطق السلعي**، فإن ماهو نوعي (خاص)particulier في السلعة يستنفد نفسه خلال القتال، بينما يتقدّم الشكل-السلعي صوب تَحقُّقه المطلق.

(٦٧)

إن الإشباع، الذي لم يعد يتأتى من استعمال السلعة الوافرة، يجري البحث عنه الآن في الإقرار

بقيمتها بوصفها سلعةً: يصبح استعمال السلعة مكتفياً بذاته؛ ويصبح المستهلك ممتلئاً بالتوقد الديني إزاء الحرية ذات السيادة للسلعة. هكذا تنتشر بسرعة البرق موجاتٌ من الحماس لمُنتَج معين، تدعمها وتُعمِّمُها كل وسائل الإعلام. من أحد الأفلام، ينبعث طرازٌ ملابس؛ ومن مجلة تُروِّج لنوادٍ ليلية، تنتشر موضاتُ ملابس متنوعةٌ. وفي اللحظة التي تنزلق فيها كتلة السلع نحو الصبيانية، يُصبحُ ماهو صبيانيٌ هو نفسهُ سلعةٌ خاصة، ويُلخِّصُ الجادجيت(*) Gadget هذه الحقيقة. ويمكننا أن نشهد مظاهرَ انغماسٍ صوفيٍّ في تسامي السلعة في الهدايا المجّانية، مثل سلاسل المفاتيح التي لاتُشترى، بل يُلحقُها المُعلنون بالمبيعات ذات المكانة، أو التي تدور بالتبادل في دائرتها الخاصة. والمرء الذي يجمع سلاسل المفاتيح المصنوعة للاقتناء في مجموعات، يراكم الانغماس في السلعة، الذي هو علامةٌ مَجيدةٌ على وجوده الفعلي بين الأوفياء. الإنسانُ المتشيء يعلنُ عن برهان حميميّته مع السلعة. تبلغ صنميّةُ السلعة لحظاتٍ من التسامي المُتّقد المماثل لنوبات نشوة اختلاجات أو معجزات الصنميةِ الدينيةِ القديمَة. والاستخدامُ الوحيد الذي يتبقّى هنا هو الاستخدامُ الجوهري للخضوع.

(٦٨)

لاشك أنه لايمكن معارضة الحاجة-الزائفة التي يفرضها الاستهلاك الحديث بأي حاجةٍ أو رغبة أصيلة لاتكون هي نفسها قد تشكلت بواسطة المجتمع وتاريخه. إن السلعة الوافرة تمثل هنا الانقطاعَ المطلقَ في التطور العضوي للحاجات الاجتماعية. وتراكمها الميكانيكي تُطلقُ اصطناعيةً لامحدودة، لاحول للرغبة الحيّة في مواجهتها. والقوة التراكمية للاصطناعية المستقلّة تُنتِجُ في كل مكان تزييفاً للحياة الإجتماعية.

(٦٩)

في صورة التوحيد السعيد للمجتمع بواسطة الاستهلاك، يظلّ الانقسام الواقعي معلقاً فقط حتى حلول عدم- التحقق التالي في الاستهلاك. وكلّ مُنتَج منفرد يمثلّ الأمل في طريق مختصر باهر للوصول إلى الأرض الموعودة للاستهلاك الكلّي، ويجري تقديمُه باحتفاء على أنه هو التفرُّد الحاسم. لكن، مثلما في حالة الانتشار اللحظي لموضات الأسماء التي تبدو أرستقراطية والتي تُطلق تقريباً على كل الأفراد الذين في سن واحدة، فإن الشيء الذي يتوقع منه المرء قوةً فريدةً لا يمكن تقديمه إلى ولاء الجماهير الا إذا كان قد أُنتج منه كميات كبيرة كافية للاستهلاك على نطاق واسع. ولايكتسب مُنتَجٌ معين مكانته مهما كان الا حين يوضع للحظة في مركز الحياة الاجتماعية، كأنه السر المُكتَشَفُ للغاية النهائية للإنتاج. لكن الشيء الذي كان يتمتع بالمكانة في الاستعراض يصبح مبتذلاً في اللحظة التي يصل فيها إلى منزل مستهلكه، وكذلك إلى منازل كل المستهلكين الآخرين. إذ يكشف بعد فوات الأوان عن بؤسه الجوهري، الذي يأتي إليه بالطبع من بؤس إنتاجه. لكن عندها يكون شيء آخر هو الذي يحمل بالفعل تبرير النظام ويطالب بالاعتراف به.

(*) الجاديت: إبتكار صغير أو أداة جديدة، مثيرة للإهتمام لكنها عديمة القيمة - م.

(٧٠)

لابد أن خدْعَةَ الإشباع تكشف نفسَها بنَفْسها عن طريق استبدالها، عن طريق اتّباعها للتغيّر في المنتجات وفي الشروط العامة للإنتاج. إنّ ما أكّد امتيازَه الحاسم بصفاقةٍ تامةٍ يتغيّر رغم ذلك، في الاستعراض المُركّز، وكذلك في الاستعراض المنتشر، والنظام وحده هو مايجب أن يستمر: ستالين والسلعةُ التي وَلّت موضتها يشجُبُهما نفس أولئك الذين فرضوهما. وكل كذبة جديدة للإعلان هي أيضاً اعترافٌ بالكذبة السابقة. وكلُّ سقوطٍ لشخصية ذات سلطة شمولية تكشف المجتمَع الوهمي الذي وافق عليها بالإجماع، والذي لم يكن أكثر من تكتيلٍ لعُزْلات دون أوهام.

(٧١)

إن ما يقدّمه الاستعراضُ على أنه أبديٌ يقومُ على أساس التغير، ولابد له أن يتغيّر مع قاعدته. الاستعراضُ دوجمائي بشكل مطلق وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يُحقّقَ أي دوجما صلبة. لا شيء يترقّف بالنسبة للاستعراض؛ هذه هي الحالة الطبيعية بالنسبة له إلاّ أنها مناقضةٌ تماماً لميله.

(٧٢)

الوحدة اللاواقعية التي يعلنُها الاستعراض هي قناع الانقسام الطبقي الذي تتركز عليه الوحدة الواقعية لنمط الإنتاج الرأسمالي. إن ما يُلزِم المنتجين بالمشاركة في تشييد العالم هو أيضاً ما يفصلهم عنه. وما يجمع بين البشر المتحرّرين من حدودهم المحلية والقومية هو أيضاً ما يُباعد بينهم. وما يتطلب تعميق العقلانية هو أيضاً ما يُغذّي لاعقلانية الاستغلال المراتبي والاضطهاد. إن ما يخلق السلطة المجرّدة للمجتمع يخلق لاحُرّيته العينية.

(٤)

البروليتاريا بوصفها ذاتاً وبوصفها تمثيلاً

« الحق المتكافيء للجميع في خيرات ومُتع هذا العالم، وتدمير كلّ سلطة، ونفي كلّ رادع أخلاقي، هذه، إذا مضى المرء إلى صُلب المسألة، هي أسباب انتفاضة ١٨ مارس والرابطة الضخمة التي زوّدتها بجيش »

التحقيق البرلماني

في انتفاضة ١٨ مارس.

(٧٣)

إن الحركة الواقعية التي تكبتُ الشروطَ القائمة تحكمُ المجتمع منذ لحظة انتصار البرجوازية في الاقتصاد، وبشكل واضح للعيان بعد الترجمة السياسية لهذا الانتصار. فقد حطّم تطوّر القوى الإنتاجية علاقات الإنتاج القديمة، وتحوّل كلّ نظام سكوني إلى تراب. كلّ ماكان مُطلقاً صار تاريخياً.

(٧٤)

عن طريق قذفهم داخل التاريخ، عن طريق اضطرارهم للمشاركة في العمل وفي الصراعات التي تكوّن التاريخ، يجد البشرُ أنفسهم مُلزَمين بالنظر إلى علاقاتهم بطريقة واضحة. فهذا التاريخ ليس له من موضوع سوى ما يجرى داخل نطاقه، حتى لو كانت آخر رؤية ميتافيزيقية لاواعية للحقبة التاريخية تستطيع النظر إلى التتابع الإنتاجي الذي تفتّح من خلالهُ التاريخ بوصفه هو نفسه موضوعَ التاريخ. إذ أن ذات التاريخ لا يمكن أن تكون سوى الكائن الحيّ بينما ينتج ذاته، بينما يصبح سيّداً ومالكاً لعالمه الذي هو التاريخ، بينما يوجدُ بوصفه وعياً بلعبتّه.

(٧٥)

مثل تيار واحد، تتطور الصراعات الطبقية للحقبة الثورية الطويلة التي استهلّها صعود البورجوازية مع فكر التاريخ، أي الجدل، ذلك الفكر الذي لم يعد يتوقف ليبحث عن معنى الوجود، بل يتجاوز ذلك إلى المعرفة بتحلّل كل ماهو موجود؛ وخلال حركته يحلّ كل انفصال.

(٧٦)

لم يعُد على هيجل أن يُفسّر العالم، بل تَغيُّر العالم. وبتفسيره فقط للتحول، فإن هيجل ليس سوى الإكتمالِ الفلسفي للفلسفة. فهو يودّ فهم عالم يصنعُ نفسَه بنفسه. وهذا الفكر التاريخي ليس بدورهِ سوى الوعي الذي يصل دائماً متأخراً جداً، والذى ينطقُ بالتبرير بعدوقوع الحدَث. وبذلك فإنه لم يتجاوز الانفصال الأ في الفكر. والتناقضُ الذي يتلخّص في جعل معنى كل واقع متوقفاً على اكتماله التاريخي، وفي نفس الوقت، في كشف هذا المعنى وهو يجعل من نفسه اكتمالاً للتاريخ، هذا التناقضُ ينبعُ من الحقيقة البسيطة المتمثلة في أن مُفكّرَ الثورات البرجوازية للقرنين السابع عشر والثامن عشر لم يَنْشُدْ في فلسفته إلاّ المصالحة مع نتائج هذه الثورات. «حتّى

بوصفها فلسفةً للثورة البرجوازية، فإنها لا تعبّر عن مجمل سيرورة هذه الثورة، بل فقط عن خلاصتها النهائية. وبهذا المعنى، فإنها ليست فلسفة للثورة، بل لإعادة المَلَكيّة». (كارل كورش، أطروحات حول هيجل والثورة). لقد قام هيجل، لآخر مرة، بعمل الفيلسوف، «تمجيد ما هو موجود»؛ الأ أن ما كان موجوداً بالفعل بالنسبة له لم يكن يمكن أن يكون أقل من الحركة التاريخية الكلّية. وبالإبقاء فعلياً على الوضع الخارجي للفكر، فإن هذا الفكر لم يكن يستطيع أن يَتَقَنَّعَ سوى بتماهيه مع مشروع أسبق للروح، هو البطل المطلق الذي فَعَلَ ما أراد وأراد ما فَعَل، ومن ثم يتطابق التحقُّقُ مع الحاضر. من هنا، فإن الفلسفة التي تموتُ في فكر التاريخ، لم تعدْ تستطيعُ تمجيدَ عالمها الأ بشجبه، حيث أنها لكي تتكلم، لابد أن تفترض سلفاً أن هذا التاريخ الكلّي الذي إختَزَلَت إليه كلَّ شيء قد إكتمل فعلاً، وأن جَلسَة المحكمة الوحيدة التي يمكن فيها النطق بِحُكْمِ الحقيقةِ قد رُفِعَتْ.

(٧٧)

حين تُبيِّن البروليتاريا بوجودها ذاته وبالأفعال أن فكر التاريخ هذا لم يتم نسيانه، يكون فضح النتيجة هو في نفس الوقت تأكيدٌ للمنهج.

(٧٨)

لا يمكن إنقاذ فكر التاريخ الأ بتحوُّله إلى فكر ممارسة؛ وممارسة البروليتاريا بوصفها طبقةً ثورية لا يمكن أن تكون أقلّ من الوعي التاريخي الذي يعمل على مجمل عالمها. وكل التيارات النظرية للحركة العمالية الثورية نشأت من مواجهة نقدية مع الفكر الهيجلي، عند ماركس مثلما عند شتيرنرStirner وباكونين Bakounine .

(٧٩)

إن طابع نظرية ماركس الذي لا ينفصل عن المنهج الهيجلي لا ينفصل هو نفسه عن الطابع الثوري لهذه النظرية، أي عن حقيقتها. وقد جرى عموماً تجاهل هذه العلاقة الأولية أو إساءة فهمها، أو حتى استنكارها باعتبارها نقطة الضعف لما أصبح يُشكّل على نحو مضلّل مذهباً ماركسياً. وقد كشف برنشتين Bernstein تماماً في الاشتراكية النظرية والاشتراكية الديموقراطية العملية هذه الصلة بين المنهج الجدليّ وبين الانحياز التاريخي، بتأسفه على التنبؤات غير العلمية لبيان عام ١٨٤٧ عن قرب وقوع الثورة البروليتارية في ألمانيا: «ان خداعَ-النفس التاريخي هذا، الذي يبلغُ من خطئه أن أفضلَ مستبصرٍ سياسي ماكان ليستطيع تحسينه، سيكونُ غير قابلٍ للفهم لدى ماركس، الذي كان في تلك الفترة قد درس الاقتصاد بجدية، مالم يَرَ المرءُ فيه نتيجةً لبقيةٍ باقية من الجدل الهيجلي النقيض الذي لم يستطع ماركس، ولا إنجلز، تحرير نفسه منه أبداً. وفي أوقات الفوران العام تلك، كان ذلك أشد شؤماً بالنسبة له.»

(٨٠)

القلبُ الذي قام به ماركس من أجل «إنقاذٍ عن طريق النقل» لفكر الثورات البرجوازية لا يتمثّل على نحوٍ تافهٍ في إحلال التطورّ المادي للقوى المنتجة محل رحلة الروح الهيجلية التي تسير

صوب الالتقاء بذاتها في الزمن، حيث يكون تشيؤها هو اغترابها، وحيث لا تترك جروحها التاريخيةُ أيَّ ندوب. فالتاريخ الذي صار واقعياً لم تَعُدْ له نهاية لقد دمَّر ماركس الموقع المنفصل لهيجل تجاه ما يحدث، وكذلك تأمُّلَ أي وسيط خارجي أعلى مهما كان. ولم يعد أمام النظرية، من الآن فصاعداً، سوى أن تعرف ما تفعل. وعلى النقيض، فإن تأمُّل حركة الاقتصاد، داخل الفكر السائد للمجتمع الراهن، هو التراث الذي لم يُتم تجاوزه للجزء غير-الجدلي في المسعى الهيجلي إلى نسق دائري: إنه استحسانٌ فَقَدَ بُعدَ المفهوم، ولم يعُد بحاجة إلى هيجلية لتبرير نفسه، لأن الحركة التي يمتدحُها ليست سوى قطاع دون رؤية للعالم، قطاعٍ تسود حركته الميكانيكية المجموعَ بالفعل. ومشروع ماركس هو مشروع تاريخٍ واعٍ. فالكمُّ الذي ينشأ في التطور الأعمى للقوى المنتجة الاقتصادية البحتة، لابد أن يتحوَّل إلى ملْك تاريخي نوعي. ونقد الاقتصاد السياسي هو الفصل الأول لنهاية ما قبل-التاريخ هذه: «من بين كل أدوات الإنتاج، فإن القوة المنتجة الأعظم، هي الطبقة الثورية ذاتها».

(٨١)

ما يربط نظرية ماركس برباط وثيق مع الفكر العلمي هو الفهم العقلاني للقوى التي تعمل فعلاً في المجتمع. لكن نظرية ماركس أبعد من الفكر العلمي من الناحية الأساسية، ولا تحافظ على الفكر العلمي إلاَّ بتجاوزه: إنها تتعلق بفهم الصراع وليس القانون.» نحن لا نعرف سوى علم وحيد: هو علم التاريخ»، هذا ما تقوله الإيديولوچيا الألمانية.

(٨٢)

إن الحقبة البرجوازية، التي تودّ أن تصنع أساساً علمياً للتاريخ، تتجاهل حقيقة أن هذا العلم المتاح عليه هو نفسه أن يجد مع الاقتصاد أساساً تاريخياً. وبالعكس، فإن التاريخ لا يعتمد جذرياً على هذه المعرفة الاّ بقدر ما يظل هذا التاريخ تاريخاً اقتصادياً. أما المدى الذي استطاعت به وجهة نظر الملاحظة العلمية تجاهل دور التاريخ في الاقتصاد-تلك العملية الشاملة التي تُعدِّل نفس بديهياتها العلمية الأساسية-فيُظهره خيلاء تلك الحسابات الاشتراكية التي اعتقدت أنها قد حدَّدت الفترات الدورية المضبوطة للأزمات. والآن، بعد أن نجح التدخل المستمر للدولة في معادلة تأثير الميل إلى الأزمة، فإن نفس نمط التفكير يرى في هذا الاتزان تناغماً اقتصادياً حاسماً. إن مشروع تجاوز الاقتصاد، مشروع امتلاك التاريخ، إذا كان يجب عليه أن يعرف-وأن يمتص-علم المجتمع، لا يمكنه هو نفسه أن يكون علمياً. في هذه الحركة الأخيرة التي تعتقد أن بإمكانها السيطرة على التاريخ الراهن بواسطة معرفة علمية، تظلُّ وجهةُ النظر الثورية وجهةَ نظرٍ بورجوازية.

(٨٣)

رغم أن التيارات الطوباوية للاشتراكية تقوم هي نفسها تاريخياً على أساس نقد التنظيم الاجتماعي القائم، فبالإمكان وصفها عن حق بأنها طوباوية بقدر ماترفض التاريخ-أي الصراع الواقعي الدائر، وكذلك حركة الزمن إلى أبعد من الاكتمال غير القابل للتغير لصورتهم عن المجتمع السعيد-وليس لأنها ترفض العلم. فالمفكرون الطوباويون، على النقيض، يسيطر عليهم تماماً الفكر

العلمي كما فرضته القرون السالفة. وقد سعوا إلى إكمال هذا النسق العقلاني العام: فلم يعتبروا أنفسهم أبداً أنبياء عُزّل، إذ آمنوا بالسلطة الاجتماعية للبرهان العلمي وحتى، في حالة السان-سيمونية، بالاستيلاء على السلطة بواسطة العلم. وقد تساءل زومبارت Sombart ، «هل أرادوا الاستيلاء من خلال النضالات على ما يتوجب **البرهنة عليه؟**» إلاّ أن المفهوم العلمي للطوباويين لا يمتد ليشمل معرفة أن لمجموعات اجتماعية معيّنة مصالح في الوضع القائم، وقوى للحفاظ عليه، وكذلك أشكال من الوعي الزائف مناظرةً لتلك المواقف. هذا المفهوم يظل، إذن، متخلفاً عن الواقع التاريخي لتطور العلم ذاته، الذي وجّهه بدرجة كبيرة **الطلب الإجتماعي** النابع من أولئك الفاعلين، الذين لا يختارون ما يمكن السماح به فقط، بل كذلك ما يمكن بحثه. يظل الاشتراكيون الطوباويون أسرى **نمط طرح الحقيقة العلمية**، التي يدركونها وفق صورتها المجردة الخالصة، كما تم فرضُها في مرحلة مبكرة جداً للمجتمع. وكما لاحظ سوريل Sorel ، اعتقد الطوباويون أنهم يكتشفون ويرضحون قوانين المجتمع على أساس نموذج **علم الفلك**. والتناغم الذي يتصورونه، والمعادي للتاريخ، ينبع من محاولتهم أن يطبّقوا على المجتمع العلمَ الأقلّ اعتماداً على التاريخ. ويُقدَّم هذا التناغم نفسه بنفس البراءة التجريبية للنبوتينية، والمصير السعيد الذي يجرى افتراضه دوماً «يلعب في علمهم الاجتماعي دوراً مماثلاً للدور الذي يلعبه القصور الذاتي في الميكانيكا العقلية» (**مواد من أجل نظرية للبروليتاريا**).

(٨٤)

كان الجانب الحتمي - العلمي في فكر ماركس هو، على وجه الدقة، الفجوة التي نفذت منها، خلال حياته، وبعدها بدرجة أكبر، عملية «الأدلجة» idéologisation إلى التراث النظري الذي ورثته الحركة العمالية. يظل قدومُ ذات التاريخ مؤجلاً، أما العلمُ التاريخي بامتياز، أي الاقتصاد، فهو الذي يميلُ باضطراد إلى ضمان ضرورة نفيه المستقبلي الخاص. لكن ما يتم دفعُه على هذا النحو الى خارج مجال الرؤية النظرية هو الممارسة الثوريةُ، التي هي الحقيقة الوحيدة لهذا النفي. هكذا فإن ما يصبح مهمّاً هو دراسة التطور الاقتصادي بصبر، وكذلك قبول المعاناة بهدوء هيجلي، لتظل النتيجة «مقبرة للنوايا الطيبة». الآن يتم اكتشاف أنه، طبقاً لعلم الثورة، فإن الوعي يصل دائما مبكراً جداً، ويجب تعليمه للناس. «لقد أظهر التاريخ بجلاء أن حالة التطور الإقتصادي في القارة كانت في ذلك الحين أبعد ما تكون عن النضج ...»، هكذا سيقول إنجلز عام ١٨٩٥. طوال حياته، حافظ ماركس على وجهة النظر الموحّدة لنظريته، لكن طرح نظريته كان يتم على أرض الفكر السائد واكتسب تحدده في شكل انتقادات لمذاهب بعينها، وبشكل أساسي نقد العلم الاساسي للمجتمع البورجوازي، أي الاقتصاد السياسي. هذا التشويه، الذي تم قبوله فيما بعد على أنه نهائي، هو ما كوّن «الماركسية».

(٨٥)

إن ضعف نظرية ماركس هو بالطبع ضعف النضال الثوري للبروليتاريا في عصره. فلم تطلق الطبقة العاملة شرارة الثورة الدائمة في ألمانيا عام ١٨٤٨؛ وهُزمت الكوميونة في عزلتها. ومن ثم لم تستطع النظرية الثورية بلوغ وجودها الكلي. وحقيقة أن ماركس اضطر للاقتصار على الدفاع عنها وتوضيحها بعمله المُتفقّه والمنعزل في المتحف البريطاني، هذه الحقيقة انطوت على خسارة

للنظرية ذاتها. أما التبريرات العلمية التي استخلصها ماركس حول مستقبل تطور الطبقة العاملة، والممارسة التنظيمية المرتبطة بهذه التبريرات، فهي التي تحولت إلى عقبات أمام الوعي البروليتاري في مرحلة لاحقة.

(٨٦)

كل أوجه النقص النظرية في الدفاع العلمي عن الثورة البروليتارية، في المضمون وكذلك في شكل الطرح، يمكن إرجاعها إلى مطابقة البروليتاريا مع البورجوازية من وجهة نظر الاستيلاء الثوري على السلطة.

(٨٧)

بإقامته البرهان على الصلاحية العلمية للسلطة البروليتارية على أساس محاولات الماضي المتكرّرة، أضفى ماركس غموضاً على فكره التاريخي، منذ البيان فصاعداً، لاضطراره إلى دعم صورة خطّيّة لتطور أنماط الإنتاج الناشيء عن الصراعات الطبقية التي تنتهي، في كل مرّة، «بتحويل ثوري للمجتمع بكامله أو بالتدمير المتبادل للطبقات المتصارعة». ولكن في الواقع الملاحَظ للتاريخ، كما أشار ماركس في موضع آخر، حافظ «نمط الإنتاج الآسيوي» على ثباته رغم كل المواجهات الطبقية، تماماً مثلما لم تهزم انتفاضاتُ الأقنان أبداً ملاكَ الأراضي [البارونات]، ومثلما لم تهزم تمرداتُ العبيد في العصور القديمة الرجالَ الاحرار. فالمخطط الخَطّي تغيب عنه رؤية حقيقة أن البورجوازية هي الطبقة الثورية الوحيدة التي انتصرت على الإطلاق؛ وهي في نفس الوقت الوحيدة التي كان تطورُ الاقتصاد بالنسبة لها سبباً ونتيجة وضع يدها على المجتمع. وأدّى نفس التبسيط بماركس إلى إغفال الدور الاقتصادي للدولة في إدارة مجتمع طبقي. وإذا بدا أن البورجوازية الصاعدة قد حرّرت الاقتصادَ من الدولة، فقد فعلت ذلك إلى المدى الذي كانت به الدولة الأسبق أداةً للقمع الطبقي في اقتصاد استاتيكي. وقد طوّرت البورجوازية قوتَها الاقتصادية المستقلة في فترة ضعف الدولة في العصر الوسيط، في لحظة تشظّي إقطاعي لقوىً متعادلة. لكن الدولة الحديثة، التي بدأت، بواسطة المركنتيلية، في دعم تطور البورجوازية، والتي صارت هي دولتها في زمن «دعه يعمل، دعه يمر»، ستكشف فيما بعد أنها تتمتع بقوةٍ محورية في الادارة المحسوبة للعملية الاقتصادية. الاّ أن ماركس استطاع، بواسطة مفهوم البوناپارتية، أن يصف تَشَكُّل بيروقراطية الدولة الحديثة هذا، اندماج رأس المال والدولة، إرساءَ «سلطة قومية لرأس المال على العمل، قوة عامة مُنَظَّمَة للاستعباد الاجتماعي»، حيث تُنكر البورجوازية كلّ حياةٍ تاريخية مالم تُختَزَل هذه الحياة إلى التاريخ الاقتصادي للاشياء، ومالم تشأ أن تكون «محكوماً عليها بنفس العدم السياسي مثل بقية الطبقات». هنا تكون قد وُضعت بالفعل الأسسُ الاجتماعية - السياسية للاستعراض الحديث، الذي يُعرِّف البروليتاريا سلبياً بأنها المُطالِبُ الوحيدُ بالحياة التاريخية.

(٨٨)

الطبقتان الوحيدتان اللتان تناظران فعلاً نظرية ماركس، الطبقتان النقيتان اللتان يؤدي إليهما كلّ تحليل رأس المال، ألاوهما البورجوازية والبروليتاريا، هما كذلك الطبقتان الوحيدتان الثوريتان

في التاريخ، لكن في شروط شديدة الاختلاف: فالثورة البورجوازية قد أُنجزَت، أما الثورة البروليتارية فهي مشروع، ولَدَ على قاعدة الثورة السابقة، لكنه يختلف عنها نوعياً. ويتجاهل أصالةَ الدور التاريخي للبورجوازية، يُخفي المرء الأصالة العينية لهذا المشروع البروليتاري الذي لا يمكنه تحقيق أيي شيء الاّ إذا حمل راياته الخاصة وعرف «ضخامة مهامّه». وقد جاءت البورجوازية إلى السلطة لأنها طبقة الاقتصاد الآخذ في التطور. ولا يمكن للبروليتاريا أن تصل إلى السلطة إلاّ إذا أصبحت طبقة الوعي. ولا يمكن لنمو القوى المنتجة ضمانَ تلك السلطة، ولا حتى عن طريق الحرمان المتزايد الذي تُسبّبه. ولا يمكن أن تكون أداة البروليتاريا هي الاستيلاء البعقوبي على سلطة الدولة. وما من ايديولوجيا يمكنها أن تساعد البروليتاريا على تمويه أهدافها الجزئية وكأنها أهداف عامة، إذ لا يمكنها الحفاظ على أي واقع جزئي يخصّها فعلاً.

(٨٩)

إذا كان ماركس، في فترة محدّدة من مشاركته في نضال البروليتاريا، قد توقّع الكثير من التنبؤ العلمي، إلى درجة خلق الأساس العقلي لأوهام النزعة الاقتصادية، فالمعروف أنه لم يخضع هو شخصياً لتلك الأوهام. ففي خطاب مشهور بتاريخ ٧ ديسمبر ١٨٦٧، مرفق بمقالٍ ينقدُ هو نفسُه فيه رأس المال، وهو مقال سيقدمه إنجلز فيما بعد للصحافة على أنه من عمل أحد الخصوم، كشف ماركس بجلاء عن حدود علمه الخاص: «... إن الميل الذاتي للمؤلف»(الذي ربما فرضه عليه موقفه السياسي وماضيه)، أعني الطريقة التي يرى بها ويقدّم بها للآخرين النتائج النهائية للحركة الواقعية، للعملية الاجتماعية الواقعية، ليس لها علاقة بتحليله الفعلي.» هكذا فإن ماركس، بشجبه هو نفسه «للنتائج المتحيِّزة» لتحليله الموضوعي، وبتهكمية كلمة «ربما» التي تشير إلى الخيارات اللا - علمية المفروضة عليه، يبيّن في نفس الوقت المفتاح المنهجي لاندماج الجانبين.

(٩٠)

في النضال التاريخي ذاته، يجب أن يتحقّق الاندماج بين المعرفة والفعل، بحيث يضمن كلٌ واحدٍ من هذين المصطلحين صحة الآخر. وتأسُّس الطبقة البروليتارية في ذاتٍ يعني تنظيم النضالات الثورية وتنظيم المجتمع في اللحظة الثورية: فعند هذه اللحظة يجب أن توجد الشروط العملية للوعي، وهي الشروط التي تتأكد فيها الممارسة بتحولُها إلى نظريةٍ عملية. الا أنّ مسألة التنظيم المحورية هذه كانت أقلّ ما طوّرته النظرية الثورية من مسائل في حقبة تأسيس الحركة العمّالية، أي بالتحديد حينما كانت هذه النظرية لا تزال تتمتع بالطابع الموحّد الذي جاء من فكر التاريخ (وهي ما تولّت النظرية على وجه الدقة مهمّة تطويره ليصبح ممارسة تاريخية موحّدة). وعلى العكس، فان هذه المسألة هي موضع عدم اتساق هذه النظرية، مما سمح بعودة أساليب التطبيق الدَولاتية والمراتبية المستعارة من الثورة البورجوازية. وبدورها، فإن أشكال تنظيم الحركة العمالية، التي تم تطويرها على أساس هذا التنكر للنظرية، مالت الى منع الحفاظ على نظرية موحّدة، ومزّقتها الى معارف نوعية متعدّدة، متخصّصة وجزئية. وبسبب خيانة الفكر التاريخي الموحّد، لم يعد هذا الاغتراب الإيديولوجي عن النظرية قادراً على التعرّف على التحقّق العملي لهذا الفكر حين ينشأ مثل هذا التحقّق خلال النضالات العفوية للعمال؛ وكل ما باستطاعته هو اللجوء إلى كبت كلّ تبدٍ وكل ذكرى

لذلك التحقق. ورغم ذلك، فان تلك الأشكال التاريخية التي تظهر خلال النضال هي بالضبط الوسط العملي الذي كانت النظرية بحاجة إليه لتصبح صادقة. إنها مُتَطَلَّباتٌ للنظرية لن تتم صياغتها نظرياً. فلم يكن السوفييت اكتشافاً نظرياً؛ لكن نفس وجوده في الممارسة هو أسمى صدق نظري لجمعية الشغيلة الأممية.

(٩١)

أدّت النجاحات الأولى لنضال الأممية الى تحرّرها من التأثيرات المشوّشة للإيديولوجيا السائدة التي كانت لا تزال باقيةً في داخلها. لكن الهزيمة والاضطهاد اللذين سرعان ما لقيتهما جلبا إلى مكان الصدارة نزاعاً بين مفهومين للثورة البروليتارية، يتضمّن كلاهما بعداً تسلّطياً يهدر التحرير - الذاتي الواعي للطبقة العاملة. وبالفعل، كان الشجار الذي بات مُتعذّر الحل بين الماركسيين والباكونينيين مزدوجاً، يُحيل في آن واحد الى السلطة في المجتمع الثوري وإلى التنظيم الراهن للحركة، وكانت مواقف الخصوم تنعكس عند الانتقال من أحد هذين الجانبين الى الآخر. فقد حارب باكونين وهمّ إلغاء الطبقات عن طريق الاستخدام التسلّطي لسلطة الدولة، متنبئاً بإعادة إرساء طبقة مسيطرة بيروقراطية وديكتاتورية أولئك الأكثر معرفةً، أو من يشتهرون بأنهم كذلك. أما ماركس، فاعتقد أن النمو الذي لا ينفصل للتناقضات الاقتصادية وللتربية الديمقراطية للعمال سيختزل دور الدولة البروليتارية إلى مرحلة بسيطة لتقنين العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تفرض نفسها موضوعياً، وشجبَ باكونينَ وأنصاره بسبب النزعة التسلّطية لنخبة تآمرية وضعت نفسها عن عمد فوق الأممية وصاغت مخططاً متهوراً لتفرض على المجتمع الديكتاتورية غير المسئولة لأولئك الأكثر ثورية، أو من يُعيّنون أنفسهم على أنهم كذلك. وبالفعل، كان باكونين يُجنّدُ أنصارَهُ على أساس ذلك المنظور: «بوصفنا ملأحين غير مرئيين في قلب العاصفة الشعبية، فلابد لنا أن نوجّهها، ليس بواسطة سلطة ظاهرة، بل بواسطة الديكتاتورية الجماعية لكل الخُلَفاء. ديكتاتورية دونَ شارة، ودون لقبٍ، ودون حق رسمي، لكنها أقوى رغم ذلك إذ لن يكون لها أي مظهرٍ من مظاهر السلطة». هكذا وقفت في تعارضٍ **ايديولوجيتان** للثورة العمالية، تحتوي كل واحدةٍ منهما على نقد صحيح جزئياً، لكنها تفقد وحدة فكر التاريخ، وتقيم من نفسها مرجعيةً autorité إيديولوجية .وقد وضعت منظمات قوية نفسَها بإخلاصٍ في خدمة هذه الإيديولوجيا او تلك، مثل الاشتراكية - الديمقراطية الألمانية والاتحاد الفوضوي الأيبيري؛ وفي كل مكان كانت النتيجة شديدة الاختلاف عما كان مأمولاً.

(٩٢)

في النظر إلى هدف الثورة البروليتارية على أنه **حاضرٌ مباشرةً** تكمن في آنٍ واحد عظمة وضعف النضال الفوضوي الفعلي (لأن مزاعم الفوضوية، في تنويعاتها الفردية النزعة تظلّ مثيرةً للسخرية). ولا تحتفظ الفوضوية الجماعية النزعة من الفكر التاريخي لصراعات الطبقات الحديثة إلا بالنتيجة، وإصرارها المطلق على هذه النتيجة يتبدّى في احتقارها المتعمد للمنهج. هكذا يظل نقدها للصراع السياسي مجرداً، بينما لا يتأكد اختيارها للنضال الاقتصادي إلاّ كمؤشّر على الوهم في حلٍ نهائي يأتي بضربة واحدة في هذا المضمار، يومَ الإضراب العام أو الانتفاضة. ان لدى الفوضويين مثلاً **أعلى عليهم تحقيقه**. والفوضوية هي نفي **مازال ايديولوجيا** للدولة وللطبقات، أي نفيٌ

لنفس الشروط الاجتماعية للإيديولوچيا المنفصلة، إنها ايديولوچيا الحرية الخالصة التي تساوي بين كل شيء وتنبُذ كل فكرة عن شرٍّ تاريخي. هذه الرؤية التي تدمج كل المطالب الجزئية أكسبت الفوضوية فضل تمثيلها لرفض الشروط القائمة من أجل مُجمل الحياة، وليس من أجل تخصُّص نقدي مُتميِّز؛ لكن هذا الدمج، بوضعه في المطلق، وفق النزوة الشخصية، قبل تحقُّقه الفعلي، قد إتلى الفوضوية كذلك بعدم اتساق بالغ الوضوح. فليس على الفوضوية سوى أن تُكرِّر وتُعيد نفس نتيجتها البسيطة الكلية في كل نضال منفرد، لأن هذه النتيجة الأولية قد تمت، منذ البداية، المطابقة بينها وبين المحصِّلة الكلِّيه للحركة. ومن هنا، كان بمقدور باكونين أن يكتب، عام ١٨٧٣، لدى تركه للاتحاد الچوراسيFédération Jurassiennc قائلاً: «خلال السنوات التسع الماضية، تطوّرت داخل الأممية أفكارٌ تفوق ما يلزم لإنقاذ العالم، إذا كان بمقدور الأفكار وحدها أن تنقذه، وأتحدّى أي واحد مهما كان أن يبتكر فكرةً جديدة. لم يعد الوقتُ وقتَ أفكار، بل وقتَ حقائق وأفعال». ولا شكَّ أن هذا الفهم يحتفظ من الفكر التاريخي للبروليتاريا بالبقين في أن الأفكار يجب أن تصبح ممارسةً، لكنه يخرج من مجال التاريخ بافتراضه أن الأشكال الملائمة لهذا الانتقال الى الممارسة قد وُجِدت فعلاً ولن تتغيَّر أبداً.

(٩٣)

إن الفوضويين، الذين يُميِّزون أنفسهم بوضوح عن مجمل الحركة العمالية بيقينهم الإيديولوچي، يعيدون، فيما بينهم، إنتاج هذا الفصل بين الكفاءات. فهم يتيحون مجالاً مواتياً للسيطرة غير المباشرة على كل المنظمات الفوضوية، من جانب دعائيين ومدافعين عن إيديولوچيتهم، أخصّائيين يكون مستواهم، بشكل عام، أشدّ تدنّيًا بقدر ما يتمثل نشاطهم الذهني أساساً في ترديد حقائق نهائية معيّنة. وعلى العموم، فانن التوتير الايديولوچي للإجماع في أتخاذ القرار، قد حيّد السلطة المطلقة العنان، داخل المنظمة نفسها، لأخصّائيي الحرية؛ وتتوقع الفوضوية الثورية من السكّان المُحرَّرين نفس النوع من الإجماع، الذي يتم التوصّل إليه بنفس الوسائل. وفضلاً عن ذلك، فإن رفض الفوضوية أن تأخذ في الاعتبار التعارض في الظروف بين أقلّية محتشدة في النضال الراهن وبين جماعة الأفراد الأحرار، قد غذّى الانفصال الدائم بين الفوضويين في لحظة اتخاذ القرار المشترك، كما يبيِّن مثال التمردات الفوضوية اللاتهائية في إسبانيا، التي تم عزلها وسحقها على مستوى محلّي.

(٩٤)

الوهم الذي تُضمره الفوضوية الأصيلة، بدرجة أو أخرى من الوضوح، هو المثولُ الدائم لثورةٍ وشيكة سوف تُثبتُ، بتحققها على نحوٍ فوري، صدقَ الايديولوچيا، وصحةَ التنظيم العملي المستمَدّ من الإيديولوچيا. وقد قادت الفوضوية، بالفعل، عام ١٩٣٦، ثورةً اجتماعيةً واستهلالاً لسلطة بروليتارية، هي أكثر نماذج السلطة البروليتارية تقدماً على الإطلاق. لكنا يجب أن نلاحظ في هذا السياق، من جهة، أن إشارة التمرد العام قد فرضها اعلان تمرد الجيش Pronunciamiento. ومن جهة أخرى، أنه بقدر مالم تكتمل هذه الثورة خلال الأيام الأولى، (بسبب وجود سلطة فرانكو في نصف أراضي البلاد، مدعومةً دعماً قوياً من الخارج بينما بقية الحركة البروليتارية الأممية قد هُزمت فعلاً؛ وبسبب استمرار بقاء قوى بورچوازية أو قوى أحزاب عمالية دولاتية أخرى داخل معسكر الجمهورية)،

أظهرت الحركة الفوضوية المنظّمة أنها عاجزة عن توسيع الانتصارات الجزئية للثورة، أو حتى عن مجرد الدفاع عنها. وأصبح زعماؤها المشهورون وزراء، ورهائنَ للدولة البورجوازية التي دمّرت الثورة لتخسر بعد ذلك الحرب الأهلية.

(٩٥)

«الماركسية الأرثوذكسية» للأممية الثانية هي الايديولوجيا العلمية للثورة الاشتراكية: فهي تُماهي مجملَ صدقها مع السيرورة الموضوعية في الاقتصاد، ومع التقدم في ادراك هذه الضرورة في صفوف الطبقة العاملة التي تتثقف عن طريق التنظيم. تعيد هذه الإيديولوجيا اكتشاف الثقة في التدليل التوضيحي البيداجوجي الذي مَيّز الاشتراكية الطوباوية، لكها تمزجه بالاشارة التأملية إلى مسار التاريخ: لقد فقد هذا الموقفُ البعد الهيجلي للتاريخ الكليّ بقدر ما فقد الصورة الساكنة للمجموع الكليّ totalité والموجودة لدى النقد الطوباوي (الذي بلغ ذروته لدى فورييه Fouri-er). ذلك الموقف العلمي، الذي لا يستطع أن يفعل سوى إحياء سيمترية من الخيارات الأخلاقية، هو المنبع الذي تصدر عنه كل هرامات هيلفردينج Hilferding حين يقرر أن إدراك ضرورة الاشتراكية لايعطي «أي مؤشر على الموقف العملي الذي يجب اتخاذه. لأن إدراك ضرورة ما شيءٌ، ووضع المرء لنفسه في خدمة هذه الضرورة شيءٌ آخر» (رأس المال المصرفي Finanz Kapital). إن من أخفقوا في إدراك أن الفكر التاريخي الموحّد، بالنسبة لماركس، وبالنسبة للبروليتياريا الثورية، لا يختلف في شيء عن الموقف العملي الواجب اتخاذه، عادةً ما يصيرون ضحايا للممارسة التي تبنّوها.

(٩٦)

منحت ايديولوجيا المنظمة الاشتراكية - الديمقراطية السلطة فيها لأساتذة يثقفون الطبقة العاملة، وكان الشكل التنظيمي الذي تم تبنّيه ملائماً لهذا التأهيل السلبي. ولا جدال في أن مشاركة إشتراكيي الأممية الثانية في النضالات السياسية والاقتصادية كانت كبيرة، لكنها لا - تقدية على نحوٍ عميق. وقد تمت قيادتها، باسم الوهم الثوري، وفق ممارسته إصلاحية واضحة. وهكذا كان لابد للايديولوجيا الثورية أن يحطّمها نفس نجاح من يعتنقونها. وأدّى الوضع المنفضل للنواب والصحفيين داخل الحركة بمن تم تجنيدهم من بين المثقفين البورجوازيين إلى تبنّي نمط حياة بورجوازي. أمّا أولئك الذين تم تجنيدهم انطلاقاً من نضالات عمال الصناعة،وكانوا هم أنفسهم عمالاً، فقد حولتهم البيروقراطية النقابية إلى سماسرة لقوة العمل، يبيعونها كسلعة، مقابل ثمنٍ عادل. ولو كان لنشاطهم أن يحافظ على بعض المظهر الثوري، لكان لابد للرأسمالية أن تجد نفسها في حينها عاجزةً عن أن تتحمل اقتصادياً تلك الاصلاحية التي كانت تحتملها سياسياً في تحريضهم الشرعي. لكن مثل ذلك التعارض الذي كان علمُهم يضمنه، كان التاريخ يكذّبه في كل لحظة.

(٩٧)

هذا التناقض هو ماكان لدى برنشتين من الأمانة ما يجعله يودّ توضيح حقيقته، حيث أنه كان الاشتراكي- الديمقراطي الأشد ابتعاداً عن الإيديولوجيا السياسية والأوضح ارتباطاً بمنهجية العلم البورجوازي - وقد أوضحته الحركة الاصلاحية للعمال الإنجليز بتخليها عن الايديولوجيا الثورية.

لكن هذا التناقض ما كان ليوضحه سوى التطور التاريخي ذاته. فمهما كانت الأوهام التي إمتلأ بها برنشتين بصدد أمور أخرى، فقد نفى أن أزمةً في الانتاج الرأسمالي سوف تفرض بشكلٍ سحري سيطرة الاشتراكيين الذين لايريدون أن يرثوا الثورة الاّ عن طريق هذا الطقس الشرعي. أمّا لحظة التفجُّر الاجتماعي العميق الذي نشأ مع الحرب العالمية الأولى، رغم خصوبتها في اكتساب الوعي، فقد أظهرت مرتين أن المراتبية الاشتراكية - الديمقراطية لم تُثقِّف الناس ثورياً، ولم تُحوِّل العمّال الألمان مطلقاً الى مُنظِّرين: أولاً، حين احتشدت الغالبية العظمى من الحزب الى جانب الحرب الإمبريالية، وبعدها، حين سحقت، وهي مهزومة، الثوريين الاسبارتاكيين. وكان العامل السابق إيبرت Ebert لازال يؤمن بالخطيئة، لأنه سلفٌ صالح **للتمثيل الاشتراكي** représentation الذي سرعان ما واجَهَ البروليتاريا الروسية كعدوٍ مطلق لها، وذلك بصياغته للبرنامج الدقيق لهذا الاستلاب الجديد «الاشتراكية تعني العمل كثيراً».

(٩٨)

لم يكن لينين، بوصفه مفكّرا ماركسياً، سوى **كاوتسكيٍّ مخلص** ومُتّسق، طبّقَ الإيديولوچيا الثورية لهذه «الماركسية الأرثوذكسية» على الشروط الروسية، وهي شروطٌ لم تكن تسمح بالممارسة الإصلاحية التي كانت الأمميّة الثانية تنفّذها في أماكن أخرى. هنا، في السياق الروسي، نجد أن الادارة الخارجية للبروليتاريا، والتي تعمل بواسطة حزب سرّي منضبط؛ خاضع للمثقفين الذين تحوّلوا إلى «ثوريين محترفين»، شكّلت مهنةً ترفضُ التعاملَ مع أي مهنةٍ من المهن المسيطرة للمجتمع الرأسمالي (وعلى أية حال، كان النظام السياسي القيصري عاجزاً عن تقديم مثل تلك الفُرص، التي تقوم على أساس مرحلةٍ متقدّمة من السلطة البورچوازية). ومن ثم أصبحت هذه المهنةُ مهنةَ الإدارة المطلقة للمجتمع.

(٩٩)

مع الحرب وانهيار الاشتراكية - الديمقراطية العالمية في مواجهة الحرب، انتشرت الراديكالية الإيديولوچية التسلّطية للبلاشفة على نطاق العالم كله. وقد حوّلت النهايةُ الدامية للأوهام الديمقراطية للحركة العمالية العالمَ بأسره إلى روسيا، وتسيُّد البلشفية على أول انقطاع ثوري أحدثته فترة الأزمة تلك، قدّمت إلى بروليتاريا جميع البلدان نموذجها المراتبي والايديولوچي حتى «تتكلم بالروسية» مع الطبقة الحاكمة. ولم يؤنّب لينين ماركسية الأممية الثانية لكونها **ايديولوچيا** ثورية، بل لأنها كفّت عن أن تكون كذلك.

(١٠٠)

إن نفس اللحظة التاريخية التي انتصرت فيها البلشفية لصالح نفسها في روسيا، والتي خاضت فيها الاشتراكية - الديمقراطية قتالاً ظافراً **لصالح العالم القديم**، هذه اللحظة تحدّد الميلادَ المكتملَ لوضع الأمور الذي يكمن في قلب سيطرة الاستعراض الحديث: أن **التمثيل** représentation **العمّالي** يتعارض جذريا مع الطبقة العاملة.

(١٠١)

« في كل الثورات السابقة،» كتبت روزا لوكسمبورج في روته فانه Rote Fahne عدد٢١ ديسمبر ١٩١٨،» كان المتحاربون ينازلون بعضهم وجهاً لوجه: طبقة ضد طبقة، برنامج ضد برنامج.أمافي الثورة الحالية، فإن قوات حماية النظام القديم لا تتدخل تحت شعار الطبقات الحاكمة، بل تحت راية «حزب اشتراكي - ديمقراطي». ولو طُرح السؤال المحوري للثورة بوضوح وأمانة: رأسماليةٌ أم اشتراكية، فلن يكون لدى الكتلة الضخمة من البروليتاريا اليوم أي شك، أو أي تردد». هكذا، وقبل أيام معدودات من تدميره، اكتشف التيار الراديكالي للبروليتاريا الألمانية سرّ الشروط الجديدة التي خلقتها كل السيرورة السابقة (والتي أسهم فيها التمثيل العمالي بقدر كبير): التنظيم الاستعراضي للدفاع عن النظام القائم، السيادة الاجتماعية للتبديات التي لم تعد ممكناً فيها طرح أي «سؤال محوري بوضوح وأمانة». لقد أصبح التمثيل الثوري للبروليتاريا في هذه المرحلة هو العامل الرئيسي والنتيجة المحورية للتزييف العام للمجتمع.

(١٠٢)

إن تنظيم البروليتاريا وفق النموذج البلشفي الذي وُلد من التخلف الروسي ومن تخلّي الحركة العمالية للبلدان المتقدّمة عن النضال الثوري، قد وجد كذلك في التخلف الروسي كلّ الشروط التي قادت هذا الشكلَ من التنظيم صوب الانتكاس الثوري - المضاد الذي كان يحملُ دون وعيٍ بذرتَهُ الأصلية أما التراجع المتكرر لمجمل الحركة العمالية الأوربية في مواجهة هنا الوردة، فلتقفز هنا Hic Rhodus, hic salta لفترة١٩١٨ - ١٩٢٠، وهو تراجعٌ تضمّن التدمير العنيف لأقليّتها الراديكالية، فقد حبّذ إكتمال تطور البلشفية وأتاح لهذه النتيجة الزائفة أن تؤكد نفسَها أمام العالم باعتبارها الحلَّ البروليتاريَ الأوحد. فعن طريق الاستيلاء على احتكار الدولة للتمثيل وللدفاع عن سلطة العمال، برّرَ الحزبُ البلشفي نفسه، وأصبح ما كانه: أي حزب مالكي البروليتاريا، مُصفّياً الأشكال الأسبق من الملكية من الناحية الأساسية.

(١٠٣)

طوال عشرين عاماً من السجال النظري الذي لم يصل إلى حلٍ، فحصت مختلفُ اتجاهات الاشتراكية - الديمقراطية الروسية كلَّ شروط تصفية القيصرية: ضعف البورجوازية، وثقل الأغلبية الفلاحية، والدور الحاسم لبروليتاريا مُركّزة ومقاتلة لكنها تشكل أقليةً بالغة الضآلة في البلاد. لكن هذا السجال وجد حلّهُ أخيراً في الممارسة عن طريق عنصرٍ لم يكن موجوداً في الافتراضات: هو البيروقراطية الثورية التي أدارت البروليتاريا، واستولت على سلطة الدولة، وأعطت المجتمع سيطرةً طبقية جديدة. كانت الثورة البورجوازية بالمعنى المحدّد مستحيلة؛ وكانت «الديكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين» بلا معنى؛ ولم تستطع السلطة البروليتارية للسوڤييتات الحفاظ على نفسها في آن واحد ضد طبقة صغار ملاك الأراضي، وضد الرجعية البيضاء المحلية والدولية، وضد نفس تمثيلها الخارجي والمستلَب في شكل حزبٍ عمالي للسادة المطلقين للدولة، والاقتصاد، والتعبير ثم للفكر بعدها. وكانت نظرية الثورة الدائمة لتروتسكي وپارڤوس Parvus، والتي تبنّاها لينين فعلياً في أبريل عام ١٩١٧، هي النظرية الوحيدة التي صارت صادقة بالنسبة للبلدان التي كان التطور

الاجتماعي للبورجوازية فيها متخلفاً، لكن هذه النظرية لم تصبح صادقةً إلاّ بعد إدخال هذا العنصر المجهول الذي هو السلطة الطبقية للبيروقراطية. وخلال الجدالات العديدة داخل الإدارة البلشفية. كان لينين هو المدافع الأكثر اتساقاً عن تركيز الديكتاتورية في أيدي الممثلين النهائيين للإيديولوجيا وكان لينين على صواب ضدّ خصومه في كل مرّة من حيث أنه كان يؤيد الحل الذي كان مُتضمّناً في الاختيارات السابقة للسلطة المطلقة للأقليّة: فالسلطة التي تم حجبُها عن الفلاحين عن طريق الدولة سيتوجّب حجبها كذلك عن العمال، مما أدّى إلى حجبها عن القادة الشيوعيين للنقابات، وعن الحزب بأسره، وأخيراً عن قمة قيادة الحزب المراتبي. وفي المؤتمر العاشر [الحزب]، في لحظة هزيمة سوڤييت كرونشتات بالسلاح ودفنه تحت ركام الافتراءات، أعلن لينين ضد البيرقراطيين اليساريين المنضّمين في «المعارضة العمالية» النتيجةَ التالية، التي سيُوسّع ستالين منطقها ليصبح تقسيماً كاملاً للعالم، «هنا أو هناك، سنمضي مع بندقية، لكن ليس مع المعارضة .... لقد نلنا كفايتنا من المعارضة».

(١٠٤)

بعد كرونشتات، دعّمت البيروقراطية - التي أصبحت المالكَ الوحيد لرأسمالية دولة - سلطتَها في الداخل أولاً عن طريق تحالف مؤقت مع الفلاحي، مع السياسة الاقتصادية الجديدة، وفي الخارج عن طريق استخدام العمال المُجَيّشين في الأحزاب البيروقراطية للأممية الثالثة كدعامات للدبلوماسية الروسية، لتخرّب بذلك كل حركة ثورية وتساند الحكومات البورجوازية التي كانت بحاجة الى تأييدها في السياسة الدولية (سلطة الكومنتانج في الصين أعوام ١٩٢٥ - ١٩٢٧، والجبهة الشعبية في إسبانيا وفرنسا، إلى آخره). لكن كان على المجتمع البيروقراطي أن يواصل تعزيز نفسه بممارسة الإهارب على الفلاحين لإنجاز التراكم الرأسمالي الأوليّ الأشد وحشيةً في التاريخ. ويكشف تصنيعُ الحقبة الستالينية هذا الحقيقة النهائية للبيروقراطية: انها استمرار سلطة الاقتصاد، والحفاظ على جوهر المجتمع السلعي بالإبقاء على العمل - السلعة. هكذا يتعزز الاقتصاد المستقل، الذي يسيطر على المجتمع الى درجة أنه يخلق من جديد، لأغراضه الخاصة، السيطرة الطبقية اللازمة له. مما يعني أن البورجوازية قد خلقت سلطةً مستقلة يمكنها، طالما بقي هذا الاستقلال، أن تصل إلى حد الاستغناء عن بورجوازية. ليست البيروقراطية الشموليةَ «آخر طبقة مالكة في التاريخ» بالمعنى الذي يقصده برونو ريتسي Bruno Rizzi، بل مجرد طبقة حاكمة بديلة للاقتصاد السلعي. تُستَبدَلُ الملكيةُ الخاصة الرأسمالية المتدهورة ببديلٍ مُبَسّط، وأقل تنوّعاً، مُركّز في ملكية جماعية للطبقة البيروقراطية. هذا الشكل المتخلّف للطبقة الحاكمة هو التعبير عن التخلف الاقتصادي؛ وليس له من منظور سوى تعويض تأخر النمو في مناطق معينة من العالم. والحزب العمالي، المنّظم وفق نموذج الانفصال البورجوازي، هو الذي قدّم الإطار المراتبي - الدولاتي لهذه الطبعة الإضافية من الطبقة الحاكمة. وقد لاحظ أنطون سيليجا Anton ciliga وهو في أحد سجون ستالين أن «المسائل التقنية للتنظيم اتضح أنها مسائل اجتماعية». (لينين والثورة).

(١٠٥)

الإيديولوجيا الثورية، اتساقُ ما هو منفصل، والتي تمثل اللينينية أرقى محاولة إرادية النزعة لها volontariste بتوليها ادارةِ واقعٍ يرفضها، تعود، مع الستالينية، الى حقيقتها في

عدم الاتساق. عند هذه النقطة لاتعود الإيديولوجيا سلاحاً، بل هدفاً. والكذبةُ التي لم تعد تُواجَه بالتكذيب تتحول الى جنون. يذوبُ الواقع وكذلك الهدفُ في الإشعار الإيديولوچي الشمولي : وكل ما يقوله هو كل ما هناك. وهذه بدائيةٌ محلّية للاستعراض، الاّ أن لها دوراً جوهرياً في تطور الاستعراض العالمي. والإيديولوچيا التي تتجسّد هنا لم تُغيِّر العالم اقتصادياً، إنها فقط غيَّرت الإدراك بواسطة البوليس.

(١٠٦)

الطبقةُ الإيديولوچية – الشمولية في السلطة هي سلطةُ عالم مقلوب رأساً على عَقب : فكلما ازدادت قوةً، كما ازداد زعمُها أنها غير موجودة، وتُفيد قوتها بالدرجة الأولى في تأكيد عدم وجودها. وتواضعها يقتصر على هذه النقطة فحسب، لأن عدم وجودها الرسمي لابد أن يتطابق مع لتطور التاريخي الذي لامزيد عليه. nec plus ultral، والذي لابد في نفس الوقت أن يُعزَى الى قيادتها التي لاتخطيء. بانتشارها في كل مكان،يجب أن تكون البيروقراطية هي الطبقة الخفية أمام الوعي، والنتيجة أن تصبح كل الحياة الاجتماعية مجنونة. والتنظيم الاجتماعي للكذبة المطلقة ينبع من هذا التناقض الأساسي.

(١٠٧)

كانت الستالينيةُ حكمَ الإرهاب داخل الطبقة البيروقراطية ذاتها. فالإرهاب الذي يشكل أساس سلطة هذه الطبقة لابد كذلك أن يصيب هذه الطبقة، لأنها لا تملك أي ضمانٍ قانوني، ولا أي وجودٍ معترفٍ به كطبقةٍ مالكة، يمكنها أن توسّعه لشمل كل واحد من أعضائها. ولم تصبح البيروقراطيةُ مالكةً إلا عن طريق الوعي الزائف، لأن ملكيتها الحقيقية مخبأةٌ. والوعي الزائف لايحافظ على سلطته المطلقة إلاّ بالإرهاب المطلق، حيث ينتهي الأمرُ بكل حافزٍ حقيقي إلى الضياع. ولا يملك أعضاءُ الطبقة البيروقراطية حقَّ ملكية المجتمع إلاّ جماعياً، بوصفهم مشاركين في كذبة أساسية : فعليهم أن يلعبوا دور بروليتاريا تدير مجتمعاً اشتراكياً؛ عليهم أن يكونوا ممثلين اوفياء لنص خيانةٍ ايديولوجية. لكن المساهمة الفعالة في هذا الزيف تتطلب هي نفسها الاعتراف بها بوصفها مساهمةً حقيقية. ولا يمكن لأي بيروقراطي أن يدافع بمفرده عن حقه في السلطة، لأن إثبات أنه بروليتاري اشتراكي يعني تقديم نفسه على أنه نقيض البيروقراطي؛ وإثبات أنه بيروقراطيٌ مستحيل، حيث أن الحقيقة الرسمية للبيروقراطية هي أنها غير موجودة. وهكذا يعتمد كل بيروقراطي اعتماداً مطلقاً على ضمانة مركزية من الإيديولوچيا، التي تمنع حق المشاركة الجماعية في «سلطتها الاشتراكية» لكل **البيروقراطيين الذين لا تصفّيهم**. إذا كان البيروقراطيون في مجموعهم يقررون بشأن كل شيء، فإن تَلاحُم طبقتهم ذاتها لايمكن ضمانُه سوى بتركيز سلطتهم الإرهابية في شخص واحدٍ فقط. وفي هذا الشخص تكمن الحقيقة العملية الوحيدة للزيف مُتولياً السلطة :وهي الثبات الذي لايقبل الجدل لحدوده التي تتعدّل باستمرار. ان ستالين يقرر بلارجعة من يكون بيروقراطياً مالكاً في النهاية؛ أي من يجب تسميته بأنه«بروليتاري في السلطة» أو«خائن مأجور للميكادو أو لوول ستريت». ولاتجد الذرات البيروقراطية جوهر حقها المشترك سوى في شخص ستالين. ستالين هو حاكم العالم الذي يعرف بهذه الطريقة أنه الشخص المطلق، الذي لاتفوق وعيَهُ أي روح أسمى منه.«إن حاكم العالم يمتلك

الوعي الفعال بما يكونه – السلطة الكلّية للفعالية – في العنف المدمرّ الذي يمارسه ضد ذوات رعاياه، الآخرين الذي يشكّلون نقيضه. إنه السلطة التي تحدد حقل السيطرة، تماما مثلما هو«السلطة التي تُخرِّب هذا الحقل».

(١٠٨)

حين تتحول الإيديولوجيا، التي صارت مطلقةً من خلال امتلاك السلطة المطلقة، من معرفة جزئية الى زيف شمولي، تكون تصفية فكر التاريخ قد اكتملت تماماً لدرجة أن وجود التاريخ نفسه لايعود ممكناً، حتى على مستوى المعرفة الأشد إمبريقية. إن المجتمع البيروقراطي الشمولي يحيا في حاضر أبدي، لايكون فيه كل ماوقع موجوداً إلاّ بوصفه مكاناً تستطيع الشُرطة مداهمته. والمشروع الذي صاغه نابوليون «للحاكم الذي يوجِّه طاقة الذاكرة»، وجد أخيراً تجسّده النهائي في التلاعب الدائم بالماضي، ليس في دلالاته فحسب، بل في وقائعه. لكن الثمن المدفوع لهذا التحرر من كل واقع تاريخي هو فقدان المرجع العقلاني الذي لاغنى عنه للمجتمع التاريخي للرأسمالية. ومن المعروف كم كلّف التطبيقُ العلميُ للايديولوجيا المجنونة الاقتصادَ الروسي، ولو عن طريق احتيال ليسينكو Lyssenko وحده. هذا التناقض لبيروقراطية الشمولية التي تدير مجتمعاً مُصنّعاً، والواقعة في مأزق بين حاجتها الى« العقلانية ورفضها لما هو عقلاني، هو أحد عيوبها الرئيسية إذا قورنت بالتطور الرأسمالي العادي. وكما البيروقراطية عاجزة عن حل المسألة الزراعية على النحو الذي فعلته الرأسمالية، فإنها في النهاية أدنى من الرأسمالية في الإنتاج الصناعي، المخطط تسلطياً من أعلى والقائم على أساس اللاواقعية والزيف المُعمّم.

(١٠٩)

فيما بين الحربين العالميتين، تمت تصفية الحركة العمالية الثورية بواسطة العمل المشترك للبيروقراطية الستالينية والشمولية الفاشية، التي استعارت شكلها التنظيمي من الحزب الشمولي الذي جرت تجربته في روسيا. كانت الفاشيةُ دفاعاً متطرفاً عن الاقتدار البورجوازي الذي تتهدّده الأزمة والتخريب البروليتاري. إنها **حالة حصار** L"etat de si`ege داخل المجتمع الرأسمالي، بواسطتها يُنقذ هذا المجتمعُ نفسَه ويمنحها عقلانية أولية عاجلة بجعل الدولة تتدخل في ادارتة على نطاق واسع. لكن هذه العقلانية ذاتها واقعةٌ تحت وطأة اللاعقلانية البالغة لوسائلها. والفاشية نفسها ليست إيديولوجيةً من الناحية الأساسية، رغم أنها تهرع للدفاع عن النقاط المحورية للإيديولوجيا البورجوازية التي أصبحت محافظةً(العائلة، الملكية، النظام الأخلاقي، الأمّة)، وتجمع بذلك شمل البورجوازية الصغيرة والعاطلين الذين حطّمتهم الأزمة أو خدعهم عجز الثورة الاشتراكية. وهي تُقدّم نفسها كما هي : أي كانبعاث عنيف **للأسطورة**، يتطلّب المشاركة في جماعة تحدّدُها قيم – زائفة عتيقة : هي العرْف، والدم، والزعيم. الفاشية هي **نزعة عتيقة مُجهّزة تقنياً. ومحاكاتها** Er-satz المتعفنة للأسطورة تستعادُ في السياق الاستعراضي لأحدث وسائل التحكّم والوهم. ومن هنا، فإنها أحد عوامل تشكيل الاستعراض الحديث. كما أن دورها في تدمير الحركة العمالية القديمة يجعل منها إحدى القوى الأساسية للمجتمع الراهن. لكن، لما كانت الفاشية هي كذلك الشكل **الأكثر تكلفة** للحفاظ على النظام الرأسمالي، فإن من الطبيعي أن تُخلي مقدّمة المسرح للأدوار الكبرى التي تلعبها الدول الرأسمالية؛ أن تُصفّيها أشكالٌ أقوى وأكثر عقلانية لنفس النظام.

(١١٠)

الآن، بعد أن نجحت البيروقراطية الروسية أخيراً في التخلص من بقايا الملكية البورجوازية التي كانت تعوق سيطرتها على الاقتصاد، وفي تطوير هذه الملكية لأغراضها الخاصه، وفي نيل الاعتراف بها في الخارج بين القوى الكبرى، فإنها تودّ التمتعُ بعالمها في هدوء، وذلك بكبت العنصر التعسفي الذي مورس عليها هي نفسها : تشجُّب الستالينية الكامنة في أصلها. لكن هذا الشجب يظل ستالينياً، وتعسفياً، وبلاتفسير، ويتم تصحيحه باستمرار، **لأن الكذبة الإيديولوچية الكامنة في أصله لايمكن البوح بها أبداً**. من هنا لايمكن للبيروقراطية أن تجعل نفسها ليبراليةً لا eقافياً ولاسياسياً لأن وجودها كطبقة يتوقف على احتكارها الإيديولوچي الذي يمثل، رغم كل ثقله، صك ملكيتها الوحيد. ولاشك أن الإيديولوچيا قد فقدت حماس توكيدها الإيجابي، لكن التفاهة اللامبالية المتبقّية تتولى دورا قمعياً لمنع أدنى منافسة وتكبيل الفكر برمته. هكذا ترتبط البيروقراطية بإيديولوچيا لم يعد يُصدقها أحد. وما كان إرهابياً صار مثاراً للسخرية. لكن مثار السخرية هذا يمكنه المحافظة على نفسه الاّ بأن يحافظ، في الخلفية، على الإرهاب الذي يود التخلص منه. هكذا، وفي نفس اللحظة التي تريد فيها البيروقراطية إظهار تفوقها على أرض الرأسمالية، فإنها تكشف عن كونها **تسيهاً فقهراً** للرأسمالية. ومثلما يتناقض تاريخها الفعلي مع مزاعمها، ويتناقض جهلها المعروض بابتذال مع ادعاءاتها العلمية، فإن مشروعها لمنافسة البورجوازية في إنتاج الوفرة السلعية تعرقله حقيقة أن تلك الوفرة تحمل في داخلها ايديولوچيتها الضمنية، وعادةً ماتصاحبها حرية لانهائية الاتساع للخيارات الاستعراضية الزائفة، حرية - زائفة لكنها لاتتمشى مع الإيديولوچيا البيروقراطية.

(١١١)

في اللحظة الراهنة من التطور، أخذ حق البيروقراطية في الملكية الايديولوجية يتهاوى على المستوى الدولي. فالسلطة التي أقامت نفسها قومياً بوصفها نموذجاً أمياً من الناحية الأساسية، عليها أن تقر بأنها لم تعد قادرةً على التظاهر بالحفاظ على تلاحمها الكاذب فيما وراء كل حدودٍ قومية. والتطور الاقتصادي غير المتكافيء لبعض البيروقراطيات ذات المصالح المتنافسه، التي نجحت في امتلاك«اشتراكيتها» خارج البلد الواحد، أدّى إلى المواجهة العلنية والشاملة بين الكذبة الروسية والكذبة الصينية. وبدءاً من هذه النقطة، ستمضي في طريقها الخاص كلٌ بيروقراطية في السلطة، أو كل حزب شمولي مُرشَّح للسلطة التي خلّفتها الفترة الستالينية في بعض الطبقات العاملة القومية. وقد زادت من تفاقم التحلّل العالمي لتحالف التضليل البيروقراطي تبديات النفي الداخلي الذي بدأ يتأكد للعالم مع ثورة عمال برلين الشرقية، الذين واجهوا البيروقراطيين بمطلب«حكومة من عمال التعدين»، وهي تبدّيات أدت في احدى المرات بالفعل الى سلطة المجالس العمالية في المجر. الاّ أن التحلّل العالمي للتحالف البيروقراطي يُعدُّ، في التحليل الأخير، أقل العوامل مواتاةً للتطور الحالي للمجتمع الرأسمالي. فالبورجوازية في طريقها لأن تفقد الخصمَ الذي ساندها موضوعياً بتقديمه توحيدا وهمياً لكل نفي للنظام القائم. وحين ينقسَم الدورُ الثوري الزائف بدوره، يضعُ ذلك نهايةً لهذا التقسيم للعمل داخل الاستعراض. سوف ينهار نفسُ العنصر الاستعراضي لانهيار الحركة العمالية.

(١١٢)

لم يُعد للوهم اللينيني اليوم من قاعدة سوى في مختلف الاتجاهات التروتسكية، حيث مازال التماهي بين المشروع البروليتاري والمنظمة المراتبية للإيديولوچيا قائماً بعناد بعد خبرة كلّ نتائجه. كذلك فإن المسافة التي تفصل بين التروتسكية وبين النقد الثوري للمجتمع الراهن تتيح لها الحفاظ على مسافة توقيرية إزاء مواقف كانت زائفة فعلاً حين اتّخذَت خلال معركة فعلية. وقد ظل تروتسكي، حتى عام ١٩٢٧، متضامناً من الناحية الأساسية مع البيروقراطية العليا، ساعياً الى الاستيلاء عليها كي يجعلها تواصل العمل البلشفي الحقيقي في الخارج(ومن المعروف أنه في تلك اللحظة، وحتى يساعد على إخفاء «وصيّة لينين» الشهيرة، وصل الى حدّ التنصّل بالافتراءات من مؤيّده ماكس إيستمان Max Eastman، الذي أذاع هذه الوصية). كان تروتسكي أسير منظوره الأساسي، ففي اللحظة التي تعرفت فيها البيروقراطية على نفسها في نتيجتها كطبقة مضادة - للثورة في الداخل، توجّب عليها كذلك اختيار أن تكون فعلياً مضاداً للثورة في الخارج باسم الثورة، **مثلما في عقر دارها.** وينطوي نضال تروتسكي التالي في سبيل أممية رابعة على نفس عدم الاتساق. فقد رفض طوال حياته الاعتراف بأن البيروقراطية هي سلطة طبقة منفصلة، لأنه كان خلال الثورة الروسية الثانية قد أصبح نصيراً مطلقاً للشكل البلشفي للتنظيم. وحين أوضح لوكاتش، عام ١٩٢٣، أن هذا الشكل التنظيمي هو الواسطة médiation التي طال انتظارها بين النظرية والممارسة، حيث يكفّ البروليتاريون عن كونهم «متفرجين» على الأحداث التي تجري في منظمتهم ليختاروا ويعيشوا بوعي هذه الأحداث، فإنه بذلك قد نسب إلى الحزب البلشفي من المزايا الفعلية كل ما لم **يكنه** الحزب البلشفي. كان لوكاتش، إلى جانب عمله النظري العميق، داعيةً ايديولوچيا، يتحدث باسم سلطة خارجية، بأشد الطرق ابتذالاً، عن الحركة البروليتارية، مُتوهّماً ومُوهماً أنه يجد نفسه، بشخصه كلّه، داخل هذه السلطة وكأنها **سلطته** هو. لكن الأحداث التالية بيّنت كيف تتنصّل هذه السلطة من خدمها وتقمعهم؛ وفي تنصّل لوكاتش الدائم من نفسه، ظهر بوضوح كاريكاتوري ما كان يتماهى معه : كان يتماهى مع نقيض نفسه، ونقيض ما كان قد تبنّاه **في التاريخ والوعي الطبقي.** ان لوكاتش هو أفضل برهان على القاعدة الأساسية التي تنطبق على مثقفي هذا القرن : **إن ما يحترمونه** هو مقياس دقيق لواقعهم الخاص **المثير للغثيان.** لكن لينين لم يشجّع أبداً هذا النوع من الأوهام بشأن نشاطه هو وقد اعتبره «أن حزباً سياسياً لا يمكنه فحص أعضائه ليرى إذا ما كان ثمة تناقضات بين فلسفتهم وبين برنامج الحزب». والحزب الواقعي الذي رسم لوكاتش، في وقت غير مناسب، صورته الخيالية، لم يكن منسجماً إلاللقيام بمهمةٍ محددة وجزئية : هي الاستيلاء على سلطة الدولة.

(١١٣)

الوهم اللينيني - الجديد للتروتسكية الراهنة، الذي يُكذّبه في كل لحظة واقعُ المجتمع الرأسمالي الحديث، البورجوازي أو البيروقراطي، يجدُ على نحو طبيعي مجال تطبيقه المميّز في البلدان «المتخلفة» المستقلّة رسمياً، حيث تتلاعب لطبقات الحاكمة المحلية عن وعيٍ بوهم تنويعةٍ معيّنة من الاشتراكية الدولاتية والبيروقراطية باعتباره **الإيديولوچيا البسيطة للتنمية الاقتصادية.** ويرتبط التشكيل الهجين لهذه الطبقات بدرجةٍ أو أخرى من الوضوح بمرتبتها في

الطيف البورجوازي - البيروقراطي. والألعاب التي تقوم بها هذه الطبقات على المستوى الدولي بين هذين القطبين للسلطة الرأسمالية الراهنه، وكذلك حلولها الوسط الإيديولوجية - خصوصاً مع النزعة الإسلامية - تُعبِّر عن الواقع الهجين لقاعدتها الاجتماعية، وتستبعد من هذا النتاج - الثانوي للاشتراكية الإيديولوجية كل ما هو جاد باستثناء الشُرطة. تتشكل إحدى البيروقراطيات عن طريق قيادتها للنضال القومي وللتمرد الزراعي للفلاحين : ومنذ تلك اللحظة، مثلما في الصين، تشرع في تطبيق النموذج الستاليني للتصنيع في مجتمع اقل تطوراً من روسيا عام ١٩١٧. وقد تتشكل بيروقراطية قادرة على تصنيع البلاد من بين صفوف البورجوازية الصغيرة من كوادر الجيش الذين يستولون على السلطة، مثلما يبين مثال مصر. وفيط بعض المناطق، مثلما في الجزائر عند بداية حرب الاستقلال، تسعى البيروقراطية، التي تشكلت كقيادة شبه - دولاتية خلال النضال، إلى نقطة توازن حل وسط يتيح الإندماج مع بورجوازية قومية ضعيفة. وأخيراً، في المستعمرات السابقة بإفريقيا السوداء، التي مازالت مرتبطةً بوضوح بالبورجوازية الغربية، الأمريكية والأوربية، تتشكل البورجوازية - انطلاقاً من قوة زعماء القبائل التقليديين فى الغالب - عن طريق امتلاك الدولة : في تلك البلدان التي تظل فيها الإمبريالية الأجنبية هي السيد الحقيقي للاقتصاد، تأتي مرحلةٌ يتلقى فيها الكومبرادور ملكية دولة محلية كمكافأة لهم على بيعهم للمنتجات المحلية، دولة مستقلة أمام الجماهير المحلية لكن ليس أمام الإمبريالية. في هذه الحالة، تكون البورجوازية بُورجوازيةً مصطنعة غير قادرة على إحداث التراكم، بل قادرة فقط على تهديد نصيبها من فائض قيمة العمل المحلّي وكذلك المساعدات الخارجية للدول أو الاحتكارات التي تحميها. وبسبب العجز الواضح لهذه الطبقات البورجوازية عن القيام بالوظيفة الاقتصادية العادية للبورجوازية، تواجه كل واحدةٍ منها خطر تخريب من الطراز البيروقراطي المتكيف بدرجة أو بأخرى مع الخصوصيات المحلية، ويتلهف على الاستيلاء على ميراث هذه البورجوازية لكن نفس نجاح البيروقراطية في مشروعها الرئيسي للتصنيع يتضمن بالضرورة أفق هزيمتها التاريخية : إذ بتحقيقها لتراكم رأس المال، فإنها تحقق تراكم البروليتاريا، وبذلك تخلق نفيها ذاته، في بلدٍ لم يكن موجوداً فيه من قبل.

(١١٤)

في هذا التطور المعقَّد والفظيع الذي نقل حقبة الصراعات الطبقية إلى شروط جديدة، فقدت بروليتاريا البلدان الصناعية تماماً توكيد منظورها المستقل، كما فقدت، في التحليل الأخير، أوهامها، لكن ليس وجودها. فلم يتوقف نموها. ولازالت موجودة بشكل لايمكن اختزاله داخل الاستلاب المكثف للرأسمالية الحديثة: إنها الغالبية العظمى من العمال الذين فقدوا كل سلطةٍ على استخدام حياتهم، والذين، قبل أن يعرفوا ذلك، يعيدون تعريف أنفسهم بأنهم البروليتاريا، النفي الذي يعمل داخل هذا المجتمع. وموضوعياً، دعم هذه البروليتاريا الاختفاءُ المستمر للفلاحين، وامتداد منطق عمل - المصنع الى قطاع ضخم من «الخدمات» والمهن الذهنية. لكن هذه البروليتاريا مازالت، ذاتياً، بعيدةً عن وعيها الطبقي العملي، ليس فقط لدى المستخدَمين ذوي الياقات البيضاء، بل كذلك بين العمال المأجورين الذين لم يكتشفوا حتى الآن سوى عجز وتضليل السياسة القديمة. لكن، حين تكتشف البروليتاريا أن نفس قوّتها الخارجية عنها تسهم في التدعيم الدائم للمجتمع الرأسمالي، ليس فقط في شكل العمل الذي تقدمه، بل كذلك في شكل النقابات، أو الأحزاب، أو

سلطة الدولة التي أقامتها لتُحرّر نفسها، فإنها تكتشف كذلك بالخبرة التاريخية العينية أنها هي الطبقة المعادية تماماً لكل خارجية متجمدة وكلّ تخصيص للسلطة. إنها تحمل الثورة التي لايمكنها ان تترك أي شيء خارجها، إنها تحمل مطلب السيطرة الدائمة للحاضر على الماضي، والنقدَ الشامل للانفصال؛ وهذا مايجب أن يجد شكله المناسب خلال الفعل. ولايُمثّل أيُّ تحسّنٍ كميّ في بؤسها، ولا أي وهم تكاملٍ مراتبي، أيَّ علاج دائم لسخطها، لأن البروليتاريا لايمكنها التعرف على نفسها حقاً في أي اساءة محددة لحقت بها ولا في تصحيح إساءة محدّدة، ولا في تصحيح عدد ضخم من هذه الإساءات، بل فقط في الإساءة المطلقة لكونها ملفوظةً على هامش الحياة.

(١١٥)

إن العلامات الجديدة للنفي، التي لايفهمها ويزيّفها الخداع الاستعراضي، والتي تتضاعف في البلدان الأكثر تقدماً من الناحية الاقتصادية، تتبع للمرء التوصل الى نتيجة أن حقبةً جديدةً قد بدأت : فبعد محاولة التخريب العمالي الأولى، نجد أن الرخاء الرأسمالي هو الذي أخفق الآن. حين تقمعُ النقابات قبل غيرها نضالات العمال الغربيين المعادية - للنقابات، حين تشن التياراتُ المتمرّدة من الشباب احتجاجاً أولياً لاشكل له، يحمل في داخله بصورة مباشرة رفض السياسة القديمة المتخصّصة، في الفن وفي الحياة اليومية، فإننا نرى كلا جانبي نضال عفوي جديد يبدأ تحت قناع جنائي. هذه تباشر هجوم بروليتاري ثانٍ ضد المجتمع الطبقي. وحين يعاود الأبناء الضالون لهذا الجيش الذي مازال خاملاً، حين يعاودون الظهور في هذا الميدان، الذي تحول الى شيء آخر ومازال هو نفسه، فإنهم يتبعون «جنرال لد général Ludd» جديد يحثهم، هذه المرّة، على تحطيم آلات الاستهلاك المسموح به.

(١١٦)

إن «الشكل السياسي الذي اكتُشف في النهاية والذي يمكن فيه تحقيق التحرر الاقتصادي للعمل» قد اكتسب في هذا القرن ملامح واضحة في المجالس العمالية الثورية، التي تركّز في ذاتها كل وظائف القرار والتنفيذ، وترتبط مع بعضها فيدرالياً عن طريق نُوّاب مسئولين أمام القاعدة ويمكن سحبهم في أي لحظة. الاّ أن وجودها الفعلي لم يكن حتى الآن سوى بدايةٍ عابرة، سرعان ماحاربتها وهزمتها مختلف القوى المدافعة عن المجتمع الطبقي، التي يجب أن ندرج بينها الوعي الزائف لهذه المجالس. وقد أصرّ بانيكوك Pannekock عن حقٍ على أن اختيار سلطة المجالس العمالية «يطرح مشكلات» أكثر مما يقدّم حلولاً. لكن في هذه السلطة بالتحديد يمكن أن تجد مشكلات الثورة البروليتارية حلها الحقيقي. ففيها تجتمع من جديد الشروط الموضوعية للوعي التاريخي؛ تحقق التواصل المباشر الفعال، وينتهي التخصّص، والمراتبية، والانفصال، وتكون الشروط القائمة قد تحوّلت الى «شروط وحدة». هنا يمكن أن تنبثق الذات البروليتارية من نضالها ضد التأمل:فوعيها مُعادلٌ للمنظمة العملية التي تمنحها لنفسها، لأن هذا الوعي نفسه لاينفصل عن التدخلُ المتّسق في التاريخ.

(١١٧)

في سلطة المجالس، التي يجب أن تحلّ عالمياً محل كل سلطة أخرى، تكون الحركة البروليتاريةُ نتاجَ نفسها وهذا النتاجُ هو المنتجُ ذاتُه. إنها تمثل الهدف بالنسبة لنفسها. هنا فقط يجدُ النفيُ

الاستعراضي للحياة نفيَه بدوره.

(١١٨)

كان ظهور المجالس هو الحقيقةُ الأسمى للحركة البروليتارية خلال الربع الأول من هذا القرن. وهي حقيقةٌ ظلّت مشوّهَةً أو غير ملحوظةٍ لأنها اختفت مع بقية الحركة التي نفاها وصفّاها مجمل الخبرة التاريخية منذ ذلك الحين. وفي اللحظة الجديدة للنقد البروليتاري، تعود هذه النتيجة بوصفها النقطة الوحيدة التي لم تُهزَم من الحركة المهزومة. والوعي التاريخي، الذي يعرف أن هذا هو المكان الوحيد لوجوده، يمكنه الآن الإقرار بهذه الحقيقة، ليس بوصفها على محيط ماينحسر، بل في مركز مايصعد.

(١١٩)

إن منظمةً ثورية موجودة قبل سلطة المجالس -يجب أن تجد شكلها الخاص خلال النضال- تعرف بالفعل، لكل هذه الأسباب التاريخية، أنها لاتُمثّل الطبقة العاملة. وعليها فقط أن تدرك نفسها على أنها انفصالٌ جذريٌ عن عالم الانفصال.

(١٢٠)

المنظّمة الثورية هي التعبير المتّسق عن نظرية الممارسة وهي تدخل في تواصل غير - أحادي الجانب مع النضالات العملية، خلال تحوّلها الى نظرية عملية. وممارستها نفسها هي تعميم التواصل والاتساق في هذه النضالات. وفي اللحظة الثورية لتحلّل الانفصال الاجتماعي، لابد لهذه المنظمة أن تُقِرّ بتحللها الخاص كمنظمة منفصلة.

(١٢١)

لايمكن للمنظمة الثورية أن تكون أقل من نقدٍ موحّد للمجتمع، أي نقدٍ لايساوم مع أي شكل من أشكال السلطة المنفصلة، في أي مكانٍ من العالم، ونقد يُوجّه على نحوٍ كلّي ضد كل جوانب الحياة الاجتماعية المستَلَبة. وفي نضال المنظمة الثورية ضد المجتمع الطبقي، لاتعدو الأسلحة أن تكون جوهر المتحاربين أنفسهم: فلا يمكن للمنظمة الثورية أن تعيد في داخلها إنتاج شروط الانقسام والمراتبية التي هي شروط المجتمع السائد. ولابد أن تناضلَ على الدوام ضد تشويهها في الاستعراض المسيطر. والحد النهائي الوحيد للمشاركة في الديمقراطية الكلّية للمنظمة الثورية هو إدراك كل أعضائها وتملّكهم الفعلي اتساق نقدها، وهو اتساق يجب اثباته في النظرية النقدية بالمعنى المحدد وفي العلاقة بين النظرية وبين النشاط العملي.

(١٢٢)

حين يجعل الاستلابُ الرأسمالي المتزايد باستمرار، على كل المستويات، من الصعوبة بمكانٍ أن يدركَ العمالُ بؤسَهم ويسمّوه باسمه، ولايتركُ أمامهم من بديل سوى رفض مجمل بؤسهم، أو لاشيء، فإن على المنظمة الثورية أن تتعلّم أنها لم تعد تستطيع أن تحارب الاستلاب بأشكال مُستَلَبة.

(١٢٣)

تتوقف الثورة البروليتارية تماماً على شرط أن النظرية، وللمرة الأولى، بوصفها ذكاءً للممارسة الانسانية، هي ما يجب أن تُقَر به وتَعيشه الجماهير. إنها تتطلب أن يصبح العمالُ دياليكتيكيين وأن ينقشوا فكرهم في ممارسة؛ هكذا، فإنها تطلب من رجال دون مزايا(★) أكثر مما طلبته الثورة البورجوازية من الرجال المؤهَّلين الذين أوكلت إليهم القيام بمهامها : لأن الوعي الإيديولوچي الجزئي الذي بناه جزءٌ من الطبقة البورجوازية كان في أساسه هذا الجزء المحوري من الحياة الاجتماعية، الذي هو الاقتصاد، الذي كانت فيه هذه الطبقة في السلطة فعلاً. ان نفس تطور المجتمع الطبقي وصولاً الى التنظيم الاستعراضي لما ليس حياً، يقود، من ثم، المشروعَ الثوري الى أن يصبح على نحو مرئي ما كانه حتى الآن جوهرياً.

(١٢٤)

النظرية الثورية الآن هي عدُوّ كل ايديولوچيا ثورية، وهي تعرف أنها كذلك.



(★) التعبير منقول عن رواية روبرت موزيل بعنوان: رجل دون مزايا- م

(٥)

الزمان والتاريخ

أيها السادة، الحياة قصيرة !
وإذا كنا نحيا، فإننا نحيا لنطأ الملوك.

شكسبير، هنري الرابع

(١٢٥)

الإنسان، ذلك «الكائن السلبي الذي لايوجد إلابقدر ما يقمع الوجود»، مماثلٌ للزمن. وتملُّك الانسان لطبيعته الخاصة يعني كذلك إحكام قبضته على تفتُّح الكون.«التاريخ هو نفسه جزءٌ واقعي من **التاريخ الطبيعي**، من تحول الطبيعة إلى إنسان.» (ماركس). وبالعكس، فهذا «التاريخ الطبيعي» ليس له أي وجود فعلي سوى من خلال سيرورة تاريخ انساني، من خلال الجزء الوحيد الذي يعيد التقاط هذا الكل التاريخي، مثل التليسكوب الحديث الذي تلتقط عدستُه، **خلال الزمن**، هروب غيمات السديم عند أطراف الكون. لقد وُجد التاريخ دوماً، لكنه لم يوجد دائماً في شكلٍ تاريخي. واكتساب الإنسان للزمنية، كما يتم من خلال توسُّط المجتمع، يعادل اكتساب الزمن للطابع الإنساني. فالحركة اللاواعية للزمن تتبدّى **وتصبح حقيقة** في الوعي التاريخي.

(١٢٦)

الحركة التاريخية بمعناها المحدد، رغم أنها **لازالت خفية**، تبدأ خلال التشكُّل البطيء وغير المحسوس لـ «الطبيعة الحقّة للإنسان»، هذه «الطبيعة التي تولد داخل نطاق التاريخ الإنساني - داخل نطاق الفعل التوليدي للمجتمع الإنساني -» لكن المجتمع الذي طوَّر تقنيةً ولغةً، اذا كان قد أصبح نتاجاً لتاريخه ذاته، فليس لديه وعيٌ سوى بحاضر أبدي. هنا نجد أن كل معرفة، محدودة بذاكرة أكبر الناس سناً، يَحملها دائماً أحياء. ولا يُفهَم الموت ولا التناسل كقانون للزمن. يظل الزمن ساكناً، مثل فضاء مُقفل. وحين يصبح مجتمعٌ أكثر تعقيداً على وعى بالزمن، فإنه يكرس جهده لنفيه، لأنه لايرى في الزمن ما يمضي، بل ما يعود. يُنظِّمُ المجتمعُ السكونيُ الزمنَ وفق خبرته المباشرة بالطبيعة، على شكل زمن دوري.

(١٢٧)

يسود الزمن الدوري خبرة الأقوام الرُحّل، لأنهم يجدون نفسَ الظروف تتكرر في كل لحظات تَنَقُّلهم : وقد لاحظ هيجل أن «تجوال الرحل شكليٌ فقط، لأنه محدود بفضاءات متجانسة». والمجتمع الذي يثبّتُ نفسه مكانياً، فيعطي الفراغ مضموناً عن طريق ترتيب الأماكن الفردية الطابع، يجد نفسه بذلك حبيس هذا الموضع. الآن تتحول العودة الزمنية الى أماكن متشابهة الى عودة خالصة للزمن في نفس المكان. الى تكرار لسلسة من الايماءات. يمثل الانتقال من حياة الارتحال الرعوية الى

زراعة الاستقرار نهاية الحرية الكسولة دون مضمون، وبداية العمل. ان نمط الإنتاج الزراعي عموماً، المحكوم بإيقاع الفصول، هو أساس الزمن الدوري المكتمل البناء. والأبدية داخلية فيه : إنها عودة نفس الشيء هنا على الأرض. والأسطورة هي البناءُ الموحَّد للفكر الذي يضمن كلَّ النظام الكوني المحيط بالنظام الذي أنجزه هذا المجتمع داخل حدوده.

(١٢٨)

يتم التملُّك الاجتماعي للزمن، إنتاج الإنسان من خلال العمل الإنساني، داخل مجتمع منقسم إلى طبقات. والسلطة التي تقيم نفسها فوق الفقر المدقع لمجتمع الزمن الدوري، الطبقة التي تنظم العمل الاجتماعي وتتملك فائض القيمة المحدود، تملك كذلك **فائض القيمة الزمني** لتنظيمها للعمل الاجتماعي: إنها تملك لنفسها فقط زمن الأحياء الذي لايقبل الانعكاس. الثروة الوحيدة التي يمكن أن توجد مُركَّزةً في مجال السلطة وتُنفَق مادياً في احتفالات باذخة، تُنفَق كذلك في تبديد **للزمن التاريخي فوق سطح المجتمع**. فمالكو فائض القيمة التاريخي يملكون معرفة الأحداث المُعاشه والتمتع بها. هذا الزمن، المفضل عن التنظيم الجماعي للزمن الذي يسود مع الإنتاج المتكرر عند قاعدة الحياة الاجتماعية، يطفو فوق نفس مجتمعه السكوني. إنه زمن المغامرة والحرب، حيث يتتبعُ سادة المجتمع الدوري دروب تاريخهم الشخصي، وهو كذلك زمنُ المواجهات مع المجتمعات الأجنبية، تشوش النظام الذي لايتغير للمجتمع. هكذا يمر التاريخ أمام البشر كأنه عنصر غريب، كأنه مالم يرغبوا فيه وظنّوا أنهم في مأمن منه.لكن عن طريق هذا الالتفاف يعود **القلق** Linquiétude السلبي الإنساني. الذي كان كامناً في أصل كل التطور الذي غلبه النعاس.

(١٢٩)

الزمن الدوري هو في ذاته زمنٌ دون صراع. لكن الصراع مزروع في طفولة الزمن هذه: يناضل التاريخُ أولاً لكي يصبح تاريخاً في النشاط العملي للسادة. وهذا التاريخ يخلقُ بشكل سطحي مالايقبل الانعكاس؛ وحركته تؤسس نفس الزمن الذي يستهلكه، داخل الزمن غير القابل للاستهلاك للمجتمع الدوري.

(١٣٠)

«المجتمعات الباردة» هي تلك التي أبطأت إلى آخر مدى نشاطها التاريخي؛ وأبقت تعارضها مع الوسط المحيط الطبيعي والإنساني، ومعارضتها الداخلية، في اتزان دائم. وإذا كان التنوّع البالغ للمؤسسات المقامة لهذا الغرض يشهد على مرونه الخلق – الذاتي للطبيعة الإنسانية، فإن هذه الشهادة لاتبدو بديهية الأبالنسبة للمراقب الخارجي، بالنسبة للعالم الإثنولوجي العائد من الزمن التاريخي. ففي كل واحد من هذه المجتمعات، نجد أن بنيةً محددة قد استبعدت التطور. والامتثالية المطلقة للممارسات الاجتماعية القائمة، التي تتساهى معها كل الإمكانات الانسانية على الدوام، ليس لها حد نهائي خارجي سوى الخوف من معاودة الوقوع في الحيوانية العديمة الشكل. هنا، لكي يظلّ البشر بشراً، لابد لهم أن يظلوا على ماهم عليه.

(١٣١)

إن مَوْلِد السلطة السياسة، الذي يبدو مرتبطاً بآخر الثورات التكنولوجية الكبرى، مثل صهر الحديد، على مشارف فترة لن تشهد صدمات عميقة حتى ظهور الصناعة، يحدّد كذلك اللحظة التي تبدأ فيها روابط القرابة في التحلّل. ومنذ ذلك الحين، يترك تتابعُ الأجيال دائرة الطبيعة الدورية الخالصة لكي يصبح تتابعاً للسلطات توجهه الأحداث. الآن يصبح الزمن غير القابل للانعكاس زَمَنَ من يحكمون؛ والسلالات الحاكمه هي مقياسه الأول. والكتابة هي سلاحه. في الكتابه، تصل اللغة إلى واقعها المستقل الكامل كتوسُّط بين الأفهام، لكن هذا الاستقلال مماثل للاستقلال العام للسلطة المنفصلة كتوسُّط يؤسس المجتمع. مع الكتابة يظهر وعي لم تعد تحمله وتنقله العلاقة المباشرة بين الأحياء: إنه ذاكرة لاشخصية، هي ذاكرة إدارة المجتمع.«الكتابات هي أفكار الدولة؛ والأرشيفات هي ذاكرتها». (نوڤاليس Novalis).

(١٣٢)

التقويم الزمني La chronique هو التعبير عن زمن السلطة غير القابل للانعكاس، وهو كذلك الأداة التي تحافظ على التقدمُ الإرادي لهذا الزمن ابتداءً من سابقه، لأن هذا التوجيه للزمن ينهار مع انهيار كل سلطةٍ محدَّدة؛ ويعاود السقوط في النسيان اللامبالي للزمن الدوري، الزمن الوحيد الذي تعرفه الجماهير الفلاحية والذي لايتغيّر أبداً خلال انهيار الامبراطوريات وتقاويمها الزمنية. لقد وضع **مالكو التاريخ** في الزمن معنى : اتجاهاً هو دلالةٌ أيضاً. لكن هذا التاريخ ينهض ويسقط على حِدَة؛ تاركاً المجتمع الواقع أسفله دون تغيير، لأن هذا التاريخ هو على وجه الدقة مايظل منفصلاً عن الواقع المشترك. وهذا هو السبب في أننا نختزل تاريخ امبراطوريات الشرق إلى تاريخ الديانات : فهذه التقاويم الزمنية التي تحوّلت إلى حُطام لم تُخلِّف سوى التاريخ المستقل ظاهرياً للأوهام التي كانت تغلّفها. والسادة الذين يستحوذون، **على الملكية الخاصة للتاريخ**، تحت حماية الاسطورة، يستحوذون، بالدرجة الأولى، على الملكية الخاصة لنمط الوهم : ففي الصين وفي مصر امتلكوا لزمن طويل احتكار خلود الروح؛ كما أن سلالاتهما الحاكمة الأولى هي الترتيب الخيالي للماضي. الا أن الامتلاك الوهمي للسادة يمثل كذلك كل الملكية الممكنة، في تلك اللحظة، لتاريخ مشترك ولتاريخهم الخاص. ويترافق توسيع سلطتهم التاريخية الفعلية مع تعميم شعبي للملكية الأسطورية الوهمية. وينبع هذا كله من الحقيقة البسيطة القائلة بأنه بقدر ما يأخذ السادة على عاتقهم أن يضمنوا أسطورياً استمرار الزمن الدوري، مثلما في الطقوس الموسمية لأباطرة الصين، فإنهم يتحررون، هم أنفسهم، من الزمن الدوري.

(١٣٣)

التقويم الزمني الجاف دون تفسير للسلطة المتألّهة التي تخاطبُ خُدّامها، والتي لاتودُّ أن تُفهَم إلا بوصفها تنفيذاً أرضياً لوصايا الأسطورة، هذا التقويم حين يمكن تجاوزه ويصبح تاريخاً واعياً، فان ذلك يتطلب أن تكون مجموعات واسعة قد عاشت المشاركة الفعلية في التاريخ. ومن هنا التواصل العملي بين من يعترفون ببعضهم على أنهم مالكون لحاضر فريد، خَبَروا الثراء النوعي للأحداث بوصفه نشاطهم وموقع حياتهم - أي حقبتهم -، تُولِّد اللغة العامة للتواصل التاريخي. هنا يكتشفُ

من وُجد الزمنُ غيرُ القابل للانعكاس بالنسبة لهم الشيء الجدير بالتّذكُّر وكذلك خطر النسيان في آن واحد :«هنا يقدم هيرودوت من هاليكارناسوس نتائج استقصائه، حتى لايُبطِلَ الزمن أعمال البشر...»

(١٣٤)

التفكير في التاريخ هو، على نحوٍ لاينفصل، **تفكيرٌ في السلطة**. وقد كانت اليونان هي تلك اللحظة التي جرت فيها مناقشة السلطة وتغيّرها، إنها **ديمقراطية سادة** المجتمع. كانت شروط الإغريق هي عكس الشروط التي تعرفها الدولة الاستبدادية، حيث لاتسوّي السلطة حساباتها أبداً الا مع نفسها، داخل الظلمة المتعذّرة البلوغ لأكثر نقاطها كثافة: عن طريق **ثورة القصر**، التي يضعها النجاح أو الإخفاق خارج المناقشة على حد سواء. إلاّ أن السلطة التي تتشارك فيها المجتمعات الإغريقية لم تكن موجودة إلاّ **في إنفاق** حياةٍ اجتماعية ظلّ انتاجها منفصلاً وسكونياً داخل الطبقة الخاضعة. إذ لايحيا سوى الذين لايعملون. وفي الانقسام بين المجتمعات الإغريقية، وفي الصراع لاستغلال المدن الأجنبية، فإن مبدأ الانفصال الذي كان يشكل داخلياً أساس كل مجتمع منها، اكتسب طابعاً. ان اليونان التي حَكَمت بالتاريخ الكوني، لم تنجح في التوحد في مواجهة الغزو - أو حتى في توحيد روزنامات مدنها المستقلة. في اليونان، أصبح الزمن التاريخي واعياً، لكنه ليس واعياً بذاته بعد.

(١٣٥)

بعد اختفاء الشروط المواتية محلّياً والتي عرفتها المجتمعات الإغريقية، لم تكن عودةُ الفكر التاريخي الغربي مصحوبةً بإعادة إقامة التنظيمات الأسطورية القديمة. ومن المواجهات بين شعوب المتوسّط، ومن تَشكُّل وانهيار الدولة الرومانية، ظهرت **ديانات شبه - تاريخية** صارت عوامل أساسية للوعي الجديد بالزمن، والدرع الجديد للسلطة المنفصلة.

(١٣٦)

كانت الديانات التوحيدية حلاً وسطاً بين الأسطورة والتاريخ، بين الزمن الدوري الذي مازال يحكم الإنتاج وبين الزمن غير القابل للانعكاس حيث تتواجه الأقوام وتتشكّل من جديد. فالديانات التي نبعت من اليهودية هي الاعتراف الكلّي المجرّد بالزمن غير القابل للانعكاس الذي صار ديمقراطياً، مفتوحاً للجميع، لكن في نطاق الوهم. الزمن موجّهٌ بكامله صوب حدث نهائي وحيد: «مملكه الرب قريبة» وقد وُلدت هذه الديانات على أرض التاريخ، وأسّست نفسها هناك. لكنها مازالت هناك تحافظ على معارضتها الجذرية للتاريخ. فالديانة شبه - التاريخية تُقيم نقطة انطلاقٍ نوعية في الزمن، هي ميلادُ المسيح، أو هجرةُ محمد، لكن بإدخالها تراكماً يمكن أن يأخذ في الإسلام شكلَ الفتح، أو في مسيحية عصر الاصلاح شكلَ نمو رأس المال، فإن زمنها غير القابل للانعكاس يكون قد انقلب في الفكر الديني ليصبح **عداً تنازلياً**: إنه الأمل في دخول العالم الآخر الأصيل قبل انقضاء الزمان، إنه انتظار يوم الحساب. لقد خرجت الأبديةُ من الزمن الدوري. وهي ماوراء الزمن الدوري. إنها العنصر الذي يوقف لاانعكاسية الزمن، العنصر الذي يكبت التاريخ داخل التاريخ ذاته، بوضعها

لنفسها على الجانب الآخر للزمن غير القابل للانعكاس، بوصفها عنصرَ توقيت خالص عاد إليه الزمن الدوري وألغى نفسه. وسوف يقول بوسويه Bossuet : «وعن طريق الزمن الذي ينقضي، ندخل الى الأبدية التي لاتنقضي».

(١٣٧)

العصر الوسيط، هذا العالم الأسطوريُ غيرُ المكتمل، الذي يقعُ كمالُه خارجَه، هو اللحظةُ التي يضعُ فيها التاريخُ حقاً الزمنَ الدوريَ، الذي مازال ينظّم الجزءَ الأكبرَ من الإنتاج. يتم الإقرار فردياً لكل شخص بزمنية معينة غير قابلة للانعكاس، في تتابع مراحل العمر، في اعتبار الحياة بمثابة رحلةٍ، مرورٍ بلاعودة خلال عالم يقع معناه في مكان آخر: والحاجّ هو الإنسان الذي يخرج من هذا الزمن الدوري ليصبح فعلاً ذلك الرحالة الذي يمثّله رمزياً كلُ شخص. مازالت الحياة التاريخية الشخصية تجد تحققها في دائرة السلطة، في المشاركة في الصراعات التي تقودها السلطة وفي الصراعات حول السلطة المتَنَازَع عليها؛ لكن زمن السلطة غير القابل للانعكاس يتم اقتسامه الى مالانهاية، وتحت التوحيد العام للزمن الموجّه للحقبة المسيحية، في عالم من الإيمان المسلح، تدور فيه لعبة السادة حول الولاء والنزاع حول الولاء المُستَحَقّ. هذا المجتمع الإقطاعي، الذي وُلد من التقاء «البنية التنظيمية للجيش الفاتح كما تطوّرت خلال الفتح» و«القوى الإنتاجية التي وُجدت في البلد المفتوح» (الإيديولوجيا الالمانية)- ويجب أن نحسب ضمن تنظيم هذه القوى الإنتاجية لغَتَها الدينية- هذا المجتمع قد قسّم السيطرة على المجتمع بين الكنيسة وبين سلطة الدولة، المقسّمه فرعياً بدورها في العلاقات المعقّدة للسيادة الاقطاعية suzerainеté والتبعية الإقطاعية vassalité في حيازة الأراضي والمجتمعات الحَضَرِيّة. في هذا لتنوع من الحياة االتاريخية الممكنه، فإن الزمنَ غيرَ القابل للانعكاس الذي فازَ في صمتٍ بمجتمع القاع، الزمنَ الذي تحياه البورجوازية في إنتاج السلع، في إنشاء وتوسيعَ المدن، في الاكتشاف التجاري للكرة الأرضية - التجريب العلمي الذي دمرَ الى الأبد كل تنظيم أسطوري للكون - هذا الزمن قد تكشّف ببطء عن كونه العملَ المجهول لهذه الحقبة، حين انهار المشروع التاريخي الرسمي العظيم لهذا العالم مع الحملات الصليبية.

(١٣٨)

خلال انحطاط العصر الوسيط، عرف الوعي المرتبطُ بالنظام القديم الإحساسَ بالزمن غير القابل للانعكاس الذي يجتاحُ المجتمعَ، في شكلِ هاجسِ الموت. إنها سوداوية تحلُل عالم، هو آخر عالم كان فيه أمان الأسطوره مازال يوازن كفّة التاريخ؛ وبالنسبة لهذه السوداوية يتجه كل ماهو دنيوي صوب فساده. كذلك فإن التمردات الكبرى للفلاحين الأوربيين هي محاولتهم للردّ على التاريخ الذي كان ينتزعهم بعنف من السُبات البطريركي الذي ضمن لهم الوصاية الإقطاعية. في البوتوبيا الألفية النزعة لتحقيق الفردوس الأرضي، يعود إلى مكان الصدارة ما كان يكمن في أصل الديانة شبه- التاريخية، حين كانت الجماعات المسيحية، مَثَلُها مَثَلُ نزعة الخلاصية messianisme اليهودية التي نشأت هذه الديانه عنها، تستجيب لمتاعب وتعاسة حقبتها بالتطلع الى التحقق الوشيك لمملكة الرب وتبرز بذلك عاملاً مُقلقاً وتخريبياً في المجتمع العتيق. وحين بلغت المسحية نقطة اقتسام السلطة في الامبراطورية، فإنّها كذّبت ماتبقىّ من هذا الأمل بوصفه مجرد خرافة: وهذا هو معنى

التأكيد الأوغسطيني، الذي هو النموذج الأصلي لكل امتلاءٍ مُكتمل satisfecit للإيديولوجيا الحديثة، والذي كانت الكنيسة القائمة، طبقاً له، ومنذ زمن بعيد هي هذه المملكة التي جرى الحديث عنها. ويُعرِّفُ التمردُ الاجتماعي للفلاحينَ ذوي النزعة الألفية نفسه بشكل طبيعي وبالدرجة الأولى على أنه رغبة في تدمير الكنيسة. لكن النزعة الألفية تنتشر داخل العالم التاريخي، وليس على أرض الأسطورة. وليست التطلعاتُ الثوريةُ الحديثةُ متابعات لاعقلانية للعاطفة الدينية للنزعة الألفية، كما ظن نورمان كون Norman Cohn أنه أوضح في كتابه السعي وراء الألفية La Poursuite du Millénium وعلى العكس تماماً، فان النزعة الألفية، نضال الطبقة الثورية التي تتكلم لآخر مرة بلغة الدين، هي بالفعل اتجاهٌ ثوريٌ حديث، مازال يفتقر إلى الوعي بأنه تاريخيٌ ليس إلاّ. كان لابد للألفيين أن يخسروا لأنهم لم يستطيعوا إدراك الثورة على أنها من صنعهم. وحقيقة أنهم انتظروا علامةً خارجية على قرار الرب لكي يتحركوا، هي ترجمةٌ لإحدى ممارسات الفلاحين المتمردين الى فكرة، تلك الممارسة التي يتبعون فيها زعماءَ من خارج صفوفهم. لم تستطيع طبقة الفلاحين بلوغ وعي دقيق بأداء المجتمع، وبالطريقة التي تقود بها نضالها الخاص: لأنها كانت تفتقر الى هذه الشروط للوحدة في عملها وفي وعيها، فإنها عبّرت عن مشروعها وقادت حروبها وفق الصورة الخيالية للفردوس الأرضي.

(١٣٩)

إن النهضة، هذا الامتلاك الجديد للحياة التاريخية، التي تجد في العصر العتيق ماضيها ومشروعيتها ، تحمل معها قطيعةً بهيجةً مع الأبدية. وزمنها غير القابل للانعكاس هو زمن التراكم اللانهائي للمعارف، أما الوعي التاريخي الناشيء عن خبرة المجتمعات الديمقراطية وعن القوى التي تدمرّها، فسوف يتناول، مع ميكافيللي، تحليل السلطة التي انتُزع عنها طابعها المقدّس، وسوف يقول مالايجوز قوله عن الدولة. في الحياة الجياشة للمدن الإيطالية، في فن الاحتفالات، يخبُر الناس الحياةَ بوصفها استمتاعاً بعبور الزمن. لكن متعة العبور هذه لأبد أنها هي نفسها متعةٌ عابرة. وأغنية لورنزو دي ميديتشي، التي يعتبرها بوركهارت Burckhardt التعبير عن «روح النهضة ذاتها»، هي الرثاء الذي ألقاه احتفالُ التاريخ الهشُ هذا عن نفسه: «ماأجمل الصبا - الذي سرعان ما ينقضي».

(١٤٠)

إن الحركة المستمرة لاحتكار الحياة التاريخية من جانب دولة المَلَكيّة المطلقة، التي هي شكل انتقاله نحو السيطرة الكاملة للطبقة البورجوازية تُظهرُ بوضوح زمنَ البورجوازية الجديد غير القابل للانعكاس. فالبورجوازية ترتبط بزمن العمل، المتحرر لأول مرةٍ من الزمن الدوري. مع البورجوازية، يصبح العمل عملاً يُغيّرُ الشروطَ التاريخية. فالبورجوازية، التي تُلغي كل امتياز، التي لاتعترف بأية قيمة لاتنبع من استغلال العمل، قد طابقت بين العمل وبين قيمتها هي كطبقة حاكمة، وجعلت من تقدّم العمل تقدمها الخاص. إن الطبقة التي تُراكم السلع ورأس المال تُعدّل الطبيعة باستمرار عن طريق تعديل العمل ذاته، عن طريق تحرير إنتاجيته. كانت كل حياة اجتماعية قد تركزت فعلاً داخل البؤس التزييني للبلاط، داخل بهرجة الإدارة الباردة للدولة التي تبلغ ذروتها في

«مهنة الملك»؛ وسلّمت كل حرية تاريخية نوعية بهزيمتها. وقد استُهلكت حرية لعبة النبلاء الإقطاعيين الزمنية غير القابلة للانعكاس في معاركهم الأخيرة الخاسرة، حروب الفروند Fronde، وانتفاض الاسكتلنديين من أجل تشارلز – ادوارد. لقد تغيّر العالمُ من أساسه.

(١٤١)

انتصار البورجوازية هو انتصار الزمن التاريخي بعمق، لأنه زمن الانتاج الاقتصادي الذي يُعبّر المجتمع، بشكل دائم ومن قمّته الى أدناه. فطالما ظل الإنتاج هو النشاط الرئيسي، فإن الزمن الدوري الذي يظل موجوداً في قاعدة المجتمع يُغذّي القوى المتكلّسة للتقاليد التي تعوق كلّ حركة. لكن زمنَ الاقتصاد البورجوازي غيرَ القابل للانعكاس يمحو هذه البقايا في كل ركن من أركان العالم. والتاريخ الذي بدا حتى ذلك الحين أنه مجرد حركة الأفراد من الطبقية الحاكمة، وكُتب بالتالي على أنه تاريخ أحداث، أصبح يُفهم الآن على أنه الحركة العامة، وفي هذه الحركة القاسية تتم التضحية بالأفراد. إن هذا التاريخ الذي يكتشفُ قاعدته في الاقتصاد السياسي يعلم الآن بوجود ما كان يُمثّل وعيه الباطن، الذي يظل وعياً باطناً لايمكن بعد إخراجه إلى النور. وما جعلهُ الاقتصادُ السلعي ديمقراطياً هو ماقبل – التاريخ الأعمى ذاك، هذه القَرية الجديدة التي لايُسيطر عليها أحد.

(١٤٢)

يميل التاريخ الموجود في كل أعماق المجتمع إلى الضياع عند السطح. وانتصار الزمن غير القابل للانعكاس هو أيضاً تحوّله إلى زمنٍ للأشياء، لأن سلاح انتصاره كان على وجه الدقه إنتاج الأشياء بالجملة، طبقاً لقوانين السلعة. التاتج الأساسيُّ الذي نقلهُ التطورُ الاقتصادي من الندرة الباذخة الى الاستهلاك اليومي هو التاريخ إذن، لكن فقط في شكل تاريخ الحركة المجرّدة للأشياء التي تحكم كل استخدام نوعي للحياة. وبينما شكّل الزمنُ الدوري السابق دعامةً لجزء متزايد من الزمن التاريخي يعيشه أفراد ومجموعات، فإن سيطرة الزمن غير القابل للانعكاس للإنتاج يميل، اجتماعياً، إلى محو هذا الزمن المُعَاش.

(١٤٣)

هكذا أظهرت البورجوازية للمجتمع وفرضت عليه زمناً تاريخياً غير قابلٍ للانعكاس، لكنها حجبت استخدامه عن المجتمع. «كان ثمة تاريخ، لكنه لم يعد موجوداً»، لأن طبقة مالكي الاقتصاد، التي لايمكنها إحداث قطيعة مع التاريخ الاقتصادي، لابد لها كذلك أن تكبح كل استخدام آخر غير قابل للانعكاس للزمن باعتباره تهديداً مباشراً لها. ان الطبقة الحاكمة، المكوّنة من أخصّائيين في ملكية الأشياء هم أنفسهم، من ثم، ملكيةٌ للأشياء، لابد لها أن تربط مصيرها بالحفاظ على هذا التاريخ المُتَشَيّء، بدوام سكونية جديدة داخل التاريخ. للمرة الأولى لم يعد العامل، في قاعدة المجتمعَ، غريباً عن التاريخ مادّياً، لأن القاعدة الآن هي التي تحرك المجتمع على نحو غير قابل للانعكاس. وفي مطالبة البروليتاريا بأن تحيا الزمن التاريخي الذي تصنعه، تجد البروليتاريا المركزَ البسيطَ غير قابلٍ للنسيان لمشروعها الثوري؛ وكل محاولة من المحاولات التي أجهضت حتى الآن لانجاز هذا المشروع تمثلُ نقطةَ انطلاقٍ ممكنة للحياة التاريخية الجديدة.

(١٤٤)

كان الزمنُ غير القابل للانعكاس للبورجوازية في السلطة قد قدَّمَ نفسَه أولاً باسمه الخاص، كأصل مطلق، العام الأولَ للجمهورية. لكن الإيديولوجيا الثورية للحرية العامة التي دمّرت آخر بقايا التنظيم الأسطوري للقيم، وكل تقنين تقليدي للمجتمع، أظهرت بالفعل الإرادة الحقيقية التي سربلتها بزيٍّ روماني: **أي حرية التجارة المعمَّمة**. المجتمع السلعي، الذي يكتشف الآن أن عليه إعادة بناء السلبية التي هزها بعمق من أجل إقامة حُكمه الخاص، «يجد في المسيحية بعقيدتها في الإنسان المجرَّد... المُكمِّل الديني الأنسب» (رأس المال). هكذا أجرت البورجوازية حلاً وسطاً مع هذا الدين يعبِّر عن نفسه أيضاً في تقديم الزمن: فقد تخلّت البورجوازية عن روزنامتها الخاصة، وعاد زمنُها غير القابل للانعكاس لينحلّ داخل إطار الحقبة المسيحية التي تواصل البورجوازية متابعتها.

(١٤٥)

مع تطور الرأسمالية، يصبح الزمنُ غير القابل للانعكاس **مُوَحَّداً على مستوى العالم**. يصبح التاريخُ الكلّيُ حقيقةً واقعة، لأن العالم بأسره مُتجمِّع في ظل تطور هذا الزمن. لكن هذا التاريخ، الذي هو نفس التاريخ في كل مكان في نفس الآن، ليس بعدُ سوى رفضُ التاريخ داخلَ التاريخ نفسه. وما يبدو أنه نفس اليوم في كل أنحاء العالم، هو زمن الإنتاج الاقتصادي، المُقسَّم إلى شذرات مجرَّدة متساوية. إن الزمن الموحَّد غير القابل للانعكاس هو زمن **السوق العالمية**، وبالتالي زمن الاستعراض العالمي.

(١٤٦)

الزمن غير القابل للانعكاس للإنتاج هو بالدرجة الأولى مقياس السلع. ومن ثم، فإن الزمن الذي يتم تأكيده رسمياً في كل أنحاء العالم على أنه **الزمن العام للمجتمع**، لايشير إلاّ إلى المصالح المتخصِّصة التي تُشكِّله، **ليس سوى زمنٍ خاص**.

(٦)

الزمن الاستعراضي

" إننا لا نملك شيئاً يخصّنا سوى الزمن، الذي يتمتع به نفس أولئك الذين لا مأوى لهم."

بالتازار جراسيان

(رجل البلاط)

(١٤٧)

زمن الإنتاج، زمن - السلعة، هو تراكمٌ لا نهائي لفترات زمنية متكافئة. إنه تجريدُ الزمن غير القابل للانعكاس، الذي يجب أن تُثْبتَ كلُّ أجزائه على الكرونومتر مجرد تساويها الكميّ. وهذا الزمن، في واقعه الفعلي، يمثّل مايمثّله في طابعه القابل للتبادل. في هذه السيطرة الاجتماعية لزمن - السلعة نجد أن «الزمن هو كل شيء، والإنسان لاشيء؛ فهو الهيكل العظمي للزمن على الأكثر» (بؤس الفلسفة). إنه زمنٌ خُفِضَت قيمته، العكسُ التام للزمن بوصفه «مجال التطور الإنساني».

(١٤٨)

الزمن العام للأ-تطوّر الإنساني يوجد أيضاً في الشكل المُتَمِّم لزمن قابل للاستهلاك يعود الى الحياة اليومية للمجتمع، بدءاً من هذا الانتاج المحدَّد، بوصفه زمناً دورياً - زائفاً.

(١٤٩)

الزمن الدوري - الزائف ليس في الحقيقة سوى التَذَكُّر القابل للاستهلاك لزمن- السلعة الإنتاجي. وهو يحتوي على السمات الأساسية لزمن السلعة، أي الوحدات المتجانسة القابلة للتبادل وكبح البعُد النوعي. لكنه لما كان نتاجاً- ثانوياً لهذا الزمن الذي يستهدف تأخر الحياة اليومية العينية والحفاظ على هذا التأخر، فلابد أن يكون مشحوناً بتقييمات- زائفة وأن يظهر في تتابع من اللحظات المكتسبة للطابع الفردي الزائف.

(١٥٠)

الزمن الدوري- الزائف هو زمن استهلاك احتياجات البقاء الاقتصادي الحديث، البقاء المُوَسَّع، حيث يظل المُعاشُ اليومي محروماً من القرار وخاضعاً، ليس للنظام الطبيعي، بل للطبيعة- الزائفة التى تطوَّرت داخل العمل المُستَلَب؛ وهكذا يُعيدُ هذا الزمن، بشكل طبيعي تماماً، الإيقاع الدوري القديم الذي كان يُنظِّم شروط بقاء المجتمعات قبل- الصناعية. يرتكز الزمن الدوري- الزائف على البقايا الطبيعية للزمن الدوري، وكذلك يستخدمها في تركيب توليفات مماثلة: الليل والنهار، العمل والراحة الأسبوعية، التكرار الدوري لفترات الإجازات.

(١٥١)

الزمن الدوري - الزائف هو زمنٌ قد حوّلته الصناعة. الزمن الذي يجد قاعدته في إنتاج السلع هو نفسه سلعة قابلة للاستهلاك، تتضمن في داخلها كما ماصار في السابق، خلال مرحلة تحلّل المجتمع الموحّد القديم،متمايزاً إلى حياة خاصة، وحياة اقتصادية، وحياة سياسية. يتم التعامل مع كل الزمن القابل للاستهلاك للمجتمع الحديث باعتبارة مادةً أوّلية لمنتجات جديدة متنوعة تفرض نفسها على السوق بوصفها استخدامات للزمن المنّظم اجتماعياً. «إن مُنتَجاً يوجد فعلاً في شكل يجعله ملائماً للاستهلاك يمكنه رغم ذلك أن يُصبح بدوره مادةً أوليةً لمُنتج آخر» (رأس المال).

(١٥٢)

تتّجه الرأسمالية المكثّفة، في قطاعها الأكثر تقدماً، الى بيع حُزَم زمنية «كاملة التجهيز»، تمثل كل واحدة منها سلعةً واحدةً موحّدة، تشتمل على عدد معين من السلع المختلفة. وهكذا تنشأ، في اقتصاد «الخدمات» وأوقات الفراغ الآخذ في التوسّع، صيغةُ الدفع المحسوب على أساس «شامل»: للوسط الاستعراضي المحيط، وللانتقالات الجماعية الزائفة لقضاء الإجازات، وللاشتراكات في الاستهلاك الثقافي، ولبيع المودّة الاجتماعية ذاتها في «المحادثات المشبوبة» و «اللقاءات مع الشخصيات». وهذا النوع من السلع الاستعراضية، الذي لايمكن بالطبع أن يجد رواجاً إلاّ بسبب البؤس المتزايد للوقائع المناظرة له، ظهر كذلك بالطبع بين السلع- الرائدة لتقنيات البيع الحديث، لأنه قابلٌ للدفع بالأجل.

(١٥٣)

الزمن الدوري - الزائف القابل للاستهلاك هو الزمن الاستعراضي، بوصفه زمن استهلاك الصُّوَر، بالمعنى الضيق، وكذلك بوصفه صورةً استهلاك الزمن، بأوسع المعاني. وزمن استهلاك الصور، وسيطُ médium كل السلع، هو، على نحو لاينفصم، المجال الذي تعمل فيه أدوات الاستعراض بكل قوتها، وكذلك الهدف الذي تقدمه هذه الأدوات بشكل شامل، على أنه الموقع والشكل الرئيسي لكل استهلاك نوعي: والمعروف أن توفير الوقت الذي يسعى إليه المجتمع الحديث على الدوام- سواءً في سرعة المركبات أو في استخدام الشوربة المجفّفة في عبوات- يجد ترجمته العينية، بالنسبة لسكان الولايات المتحدة، في حقيقة أن مشاهد التليفزيون وحدها تحتل من هذا الوقت، في المتوسط، ما بين ثلاث وست ساعات يومياً. أمّا الصورة الاجتماعية لاستهلاك الزمن، فتحكُمها بشكل حصرى بدورها لحظاتُ الفراغ والإجازات، وهي لحظاتٌ مُمَثّلةٌ عن بُعد ومرغوبةٌ بالتعريف، مَثَلُها مَثَلُ كل سلعة استعراضية. هنا تُقدَّم هذه السلعة بوضوح على أنها لحظة الحياة الحقيقية، والمقصود هو انتظار عودتها الدورية. لكن حتى في نفس هذه اللحظات المخصّصة للحياة، فإن الاستعراض، من جديد، هو ما يُقدَّم للمشاهدة ويُعاد انتاجه، ليصبح أشدّ كثافة. إن ماجرى تمثيله على أنه هو الحياةُ الحقيقية، يتكشّف ببساطة عن كونه الحياة الاستعراضية حقاً.

(١٥٤)

هذه الحقبة، التي تعرضُ زمنَها لنفسها على أنه بالأساس بمثابة العودة المفاجئة للاحتفالات المتعدّدة، هي كذلك حقبةٌ بلاعيد. وما كان، في الزمن الدوري، لحظةَ مشاركة الجماعة commu

naute في الإنفاق الباذخ للحياة، هو أمرٌ مستحيل بالنسبة للمجتمع المجرد من الجماعة ومن البذخ. واحتفالاته- الزائفة المُبتذلة، التي هي محاكياتٌ ساخرة للحوار وللهديّة، حين تحفزُ على فائض من الإنفاق الاقتصادي، فإنها لاتقود ألاّ إلى الخداع الذي يُعوّضُه دائما الوعدُ بخداع جديد. في الإستعراض، كلمّا انخفضت القيمة الاستعمالية لزمن البقاء survie الحديث، كلّما زاد تمجيده الى درجة أعلى. لقد تم استبدال واقع الزمن بالإعلان عن الزمن.

(١٥٥)

بينما كان استهلاك الزمن الدوري في المجتمعات القديمةُ متمشّياً مع العمل الفعلي لتلك المجتمعات، فإن الاستهلاك الدوري- الزائف للاقتصاد المتطوّر يتناقض مع الزمن المجرد غير القابل للانعكاس لإنتاجه. بينما كان الزمن الدوريُّ هو زمن الوهم الساكن، المُعَاش واقعياً، فإن الزمن الاستعراضي هو زمن الواقع الذي يتغيّر، والمُعاش وهمياً.

(١٥٦)

الجديد باستمرار في عملية إنتاج الأشياء لايوجد في الاستهلاك، الذي يظلّ هو التكرارُ الموسّعُ لنفس الشيء. ولأن العمل الميّت يظل يحكم العمل الحيّ، فإن الماضي يحكم في الزمن الاستعراضي.

(١٥٧)

ثمة جانب آخر من النقض الذي يعتور الحياة التاريخية العامة، هو أن الحياة الفردية ليس لها تاريخٌ بعد. فالأحداث - الزائفة التي تتدافع في التمثيلات الدرامية الاستعراضية لم يَعشْها من يُبْلغُونَ بها؛ وفضلاً عن ذلك، فإنها تضيع في غمرة إحلالها السريع، مع كل نبضة من نبضات الآلة الاستعراضية. ومن جهة أخرى، فإن ما هو مُعاشٌ فعلاً لاعلاقة له بالزمن الرسمي غير القابل للانعكاس للمجتمع، ويقفُ في تناقض مباشر مع الايقاع الدوري- الزائف للناتج- الثانوي القابل للاستهلاك لهذا الزمن. هذه الخبرةُ المعاشة الفردية للحياة اليومية المنفصلة تظل دون لغة، ودون مفهوم، ودون تناول نقدي لماضيها الخاص الذي يُسجّل في أي مكان على الإطلاق. هذه الخبرة المُعاشة لايمكن توصيلُها. إنها لاتُفهم، ثم تُنسى، لصالح الذاكرة الاستعراضية الزائفة لما هو غيُر جديرٍ بالتذكُّر.

(١٥٨)

الاستعراض، بوصفة التنظيَم الاجتماعيَ الحالي لشلل التاريخ والذاكرة، للتخلي عن التاريخ، المبنّي على قاعدة الزمن التاريخي، هو **الوعي الزائف بالزمن.**

(١٥٩)

كان الشرط الأولي لنقل العمال إلى مرتبة المنتجين والمستهلكين «الأحرار» لزمن السلعة، هو تجريدهم العنيف من ملكية زمنهم الخاص. ولم تَعُدْ العودةُ الاستعراضيةُ للزمن ممكنةً إلاّ ابتداءً من هذا النزع الأول لملكية المُنتج.

(١٦٠)

الجزء البيولوجي الذي لايمكن اختزاله والذي يظل قائماً في العمل، سواء في الاعتماد على الدورة الطبيعية للصحو والنوم أو في وجود الزمن غير القابل للانعكاس في إنفاق الحياة الفردية، هو مجرد **ملحق ثانوي** accessoire من وجهة نظر الإنتاج الحديث؛ وهذه العناصر، بوصفها كذلك، يتم تجاهلها في البيانات الرسمية عن حركة الإنتاج، وفي الغنائم القابلة للاستهلاك والتي هي الترجمة المتاحة لهذا الانتصار المتّصل. ووعيُ المشاهد، المجمَّدُ في سكون في المركز المزيَّف لحركة عالمه، لايعودُ يدركُ أن حياته بمثابة ممر نحو تحققه ونحوَ موته. فمن تخلّى عن استخدام حياته لايعود بإمكانه الاعتراف بموته. ولاتوحي إعلانات التأمين على الحياة إلاّ بأنه مُذنب بجريرة الموت دون تأمين إنتظام النسق بعد هذه الخسارة الاقتصادية. أمّا الإعلانات عن **الطريقة الامريكية للموت** L'american way of death فتؤكد على قدرته على الحفاظ في هذا اللقاء على أكبر قدرٍ من مظاهر الحياة. وعلى بقيّة جبهات القصف الإعلاني، يكون من المحظور تماماً أن يشيخ المرء. وحتى «رأسمال- الشباب» الذي يتم تدبيره لكل فرد وللجميع، لايمكنه أن يزعم اكتساب واقع استمرار وتراكم رأس المال المصرفي، لأن رأسمال- الشباب هذا لايُستَخدم إلاّ استخداماً تافهاً. إن هذا الغياب الاجتماعي للموت مطابقٌ للغياب الاجتماعي للحياة.

(١٦١)

الزمن، كما أوضح هيجل، هو الاستلاب **الضروري**، هو الوسط المحيط الذي تتحقّق فيه الذات بأن تفقد نفسها، الذي تصبح فيه الذات آخراً لكي تصبح هي نفسها حقاً. لكن العكس تماماً صحيح بالنسبة للاستلاب السائد، الذي يعانيه مُنتج حاضرٍ غريبٍ عنه. ففي هذا **الاستلاب المكاني**، نجد أن المجتمع الذي يفصلُ الذات جذرياً عن النشاط الذي ينتزعُه منها، يفصلها أولاً عن زمنها ذاته. وهذا الاستلاب الاجتماعي القابل للتجاوز هو بالضبط ما حَظَر وكَلَّسَ إمكانات ومخاطر الاستلاب الحيّ والزمن.

(١٦٢)

تحت الموضات الظاهرة التي تختفي وتُعاود الظهور على السطح العقيم للزمن الدوري- الزائف موضوع البحث، فإن **الأسلوب العظيم** للعصر يكمن على الدوام فيما تُوجِّهه الضرورة البديهية والسرّية للثورة.

(١٦٣)

إن القاعدة الطبيعيةللزمن، الخبرة المحسوسة لمرور الزمن، تصبح إنسانيةً واجتماعية بأن توجد **من أجل الإنسان**. والحالة المقيَّدة للممارسة الإنسانية، أي العمل في مراحل مختلفة، هي التي اكسبت الزمن حتى الآن الطابع الإنساني، ونزعت كذلك طابعه الإنساني، بوصفه زمناً دورياً وزمناً منفصلاً غير قابل للانعكاس للإنتاج الاقتصادي. والمشروع الثوري لمجتمع بلا طبقات، لحياة تاريخية مُعمَّمة، هو مشروعٌ ذبول المقياس الاجتماعي للزمن، لصالح نموذج لعبي للزمن غير القابل للانعكاس للأفراد والجماعات، وهو نموذجٌ تكون حاضرةً فيه في نفس الوقت **أزمنةٌ مستقلةٌ مُتّحدةٌ**. إنه

برنامج تحقيقٍ كلّي، في سياق الزمن، للشيوعية التي تكبح «كلّ مايوجدُ مستقلاً عن الأفراد».

(١٦٤)

إن العالم يملك بالفعل حلماً بزمنٍ لابد أن يملك الآن الوعيَ به لكي يحياه فعلاً.



(٧)

ترتيب الحيِّز المكاني

"ومن يُصبح حاكماً لمدينة اعتادت أن تحيا حُرّةً ولايُدمِّرها،
فليتوقع أن تُدمِّره هي، فلَديها دائماً اسم الحرّية
وعاداتها القديمة لتلوذ بهما في تمرداتها، ولن يُنسيها إياهما
لاطول الزمن ولا أي عمل طيِّب. ومهما
فعل المرء هناك أو قَدَّم، مالم يكن ملاحقة سكانها
وتشتيتهم، فلن ينسوا أبداً ذلك الاسم ولاتلك العادات..."

مكيافيللي

(الأمير).

(١٦٥)

وحَّدَ الإنتاجُ الرأسمالي الفضاءَ، الذي لم تعد تَحُدُّه المجتمعاتُ الخارجية. وهذا التوحيدُ هو، في نفس الوقت، عمليةٌ واسعة ومكثفة لنشر الابتذال. وتراكم السلع المُنتَجة بالجملة من أجل الفضاء المجرَّد للسوق، الذي كان عليه أن يُسقط كلَّ الحواجز الإقليمية والقانونية، وكل تقييدات العصر الوسيط الإدماجية- الفئوية التي حافظت على نوعية الإنتاج الحرَفي، كان عليه أيضاً أن يُدمِّر استقلال ونوعية الأماكن. إن قوةَ فرض التجانس هذه هي المدفعية الثقيلة التي هدمت كلَّ الأسوار الصينية.

(١٦٦)

لكي يصبح الفضاء الحر للسلعة أكثر تطابقاً مع نفسه على الدوام، لكي يصبح أقرب مايمكن إلى الرتابة الساكنة، فإنه يتعدَّل ويُعاد بناؤه باستمرار.

(١٦٧)

هذا المجتمع الذي يُلغي المسافة الجغرافية يستعيدُ المسافة داخليا على هيئة انفصالٍ استعراضي.

(١٦٨)

السياحةُ، دورةُ البشر المأخوذة على أنها استهلاك، والتي هي التاتج- الثانوى لدورة السلع، تمثل أساساً ترف الذهاب لرؤية ما صار مبتذلاً. والتنظيم الاقتصادي للزيارات إلى الاماكن المختلفة أصبحَ فى ذاته الضمانَ لتساوي هذه الأماكن. إن نفس التحديث الذي ألغى الزمن من الرحلة، قد ألغى كذلك واقعيةَ الفضاء.

(١٦٩)

طوَّرَ المجتمعُ، الذي يصوغ كلَّ مايحيط به، تقنيةً خاصة لتشكيل أرضه الخاصة، التي هي القاعدة الصلبة لهذه المجموعة من المهام. والعُمران الحضري L'urbanisme هو امتلاك الوسط المحيط الطبيعي والبشري من جانب الرأسمالية، التي بتطوّرها منطقياً الى سيطرةٍ مطلقة، أصبح بإمكانها ومن واجبها أن تعيد تشكيل مجمل الفضاء ليصبح ديكورها الخاص.

(١٧٠)

الحاجة الرأسمالية التي يُشبعُها العمران الحضري، على شكل تجميدٍ مرئي للحياة، يمكن التعبير عنها - باستخدام مصطلحات هيجلية- بأنها السيادة المطلقة «للتعايش السكوني للفضاء» على «السيرورة القلقة للزمن».

(١٧١)

إذا كان لابد لنا أن نفهم كل القوى التقنية للاقتصاد الرأسمالي على أنها أدوات لصُنع مختلف أنواع الانفصال، فإننا في حالة العمران الحضري في مواجهة معدات أساسها العام، في مواجهة تمهيد الأرض الذي يناسب انتشارها، في مواجهة نفس تقنية **الانفصال**.

(١٧٢)

العمران الحضري هو الإنجاز الحديث للمهمة المتّصلة لحماية السلطة الطبقية: مهمة الحفاظ على تَذَرِّي العمال الذين جمّعتهم بصورة خطرة الشروطُ الحضرية للإنتاج. النظام الدائم الذي توجّب خوضه ضد كل شكلٍ ممكن من أشكال التقائهم يجد ساحته الأثيرة في العمران الحضري. فبعد خبرات الثورة الفرنسية، نجد أن جهد كل السلطات القائمة لزيادة وسائل الحفاظ على النظام في الشوارع، قد انتهى في النهاية بكبت االشارع. «مع وجود وسائل الاتصال الجماهيرية من مسافات بعيدة، أثبتت عزلة السكان أنها وسيلة أشد فعالية للسيطرة عليهم»، هكذا يقول لويس ممفورد Lewis Mumford في كتابه **المدينة عبر التاريخ** La Cité `a trarers L'histoire ،وهو يصف «عالماً ذا اتجاه واحد على الدوام». لكن الحركة العامة للعزلة، التي هي حقيقة العمران الحضري، لابد لها أن تتضمن كذلك إعادةً تكاملٍ خاضعةٍ للضبط للعمال، ونق الاحتياجات القابلة للتخطيط للإنتاج والاستهلاك. فتكامل النظام يتطلّب إعادة التقاط الأفراد المعزولين بوصفهم أفراداً معزولين معاً: فالمصانع ودور الثقافة، المنتجعات السياحية وكذلك «التجمعات السكنية الضخمة»، كلها مُنظّمةٌ خصّيصا لتخدم هدف هذه الجماعية- الزائفة التي تُصاحب الفردَ المنعزل إلى داخل خلية **الأسرة**. ويتيح الاستخدامُ الواسع النطاق لأجهزة استقبال الرسالة الاستعراضية للفرد أن يملأ عزلته بالصور السائدة، تلك الصور التي لاتستمد كامل قوتها إلاّ من هذه العزلة.

(١٧٣)

للمرة الأولى تُرَجِّهُ إلى **الفقراء** مباشرةً عمارةٌ جديدة، كانت في كل حقبةٍ من الحقب السابقة قاصرةً على ارضاء الطبقات الحاكمة. والبؤسُ الشكلي والانتشار الهائل لخبرة السُكنى الجديدة هذه ينبعان كلاهما من طابعها الجماهيري، المتضّمن سواءً في المستهدفين منها أو في الشروط الحديثة للبناء. وبديهي أن مركز هذه الشروط الحديثة للبناء يكمن القرار التسلطي، الذي ينظم الحّيز المكاني تجريداً على هيئة حيّز مكاني للتجريد. في كل مكان يبدأ فيه تصنيع البلدان المتخلفة في هذا الصدد، تظهر نفسُ العمارة بوصفها مجالاً مناسباً لطراز جديد من الوجود الاجتماعي يجري زرعه هناك. والعتبة التي يعبرها نمو القوة المادية للمجتمع، وتأخُر السيطرة الواعية للمجتمع على هذه القوة، يبرزان في العمران الحضري بقدر بروزهما في مشكلاتٍ مثل التسليح النووي أو تحديد

النسل- الذي بلغ حد إمكان التلاعب بالوراثة.

(١٧٤)

اللحظة الراهنة هي لحظة التدمير - الذاتي للوسط الحضري المحيط. وانفجار المدن التي تغطي الريف «بأكوام لاشكل لها من المخلّفات الحضرية، تحكمه بشكلٍ مباشر متطلبات الاستهلاك. أما ديكتاتورية السيّارة، الناتج- الرائد للمرحلة الأولى من الازدهار السلعي، فقد نقشتها على وجه الأرض سيطرةُ الطريق السريع، الذي يزيح المراكز الحضرية القديمة عن مواضعها ويتطلّب تبعثراً أوسع باستمرار. وفي نفس الوقت، فإن مراحل إعادة التنظيم غير المكتمل للنسيج الحضري تتمحور مؤقتاً حول «مصانع التوزيع»، التي تمثلها متاجر السوبر ماركت العملاقة المقامة فوق أرض عارية، فوق أماكن انتظار السيارات؛ هذه المعابد للاستهلاك المحموم، بعد أن تنتج إعادة ترتيب جزئية للاختناقات، سرعان ماتتطاير هي نفسها بفعل حركة الطرد المركزي، التي تلفظها فور أن تصبح بدورها مراكز ثانوية مُثقَلة بالأعباء. لكن التنظيم التقني للاستهلاك ليس سوى العنصر الأول من التحلّل العام الذي أوصل المدينة إلى درجة استهلاك نفسها.

(١٧٥)

التاريخ الاقتصادي، الذي تطوّر بكامله حول التعارض بين الريف والمدينة، بلغ الآن مستوىً من النجاح يلغي الطرفين كليهما. والشلل الراهن للتطور التاريخي الكلي، لصالح مجرد استمرار الحركة المستقلة للاقتصاد، بشكل اللحظة التي تبدأ فيها المدينة والريف في الاختفاء، ليس لحظة تجاوز الانقسام بينهما، بل لحظة انهيارها المتزامن. أما التآكل المتبادل للمدينة وللريف، الذي هو نتاج إخفاق الحركة التاريخية التي كان يجب تخطّي الواقع، الحضري الراهن من خلالها، فيتبدّى في هذا الخليط المتنافر لعناصرهما المتحلّلة، التي تغطي المناطق الصناعية الأكثر تقدماً.

(١٧٦)

وُلد التاريخُ الكلّي في المدن، وبلغ سنّ الرشد في لحظة الانتصار الحاسم للمدينة على الريف. ويعتبر ماركس أن أحد المزايا الثورية الكبرى للبوراجوازية هو «إخضاعها الريفَ للمدينة»، حيث الهواء يُحرِّرُ. لكن إذا كان تاريخ المدينة هو تاريخ الحرية، فإنه أيضاً تاريخ الطغيان، تاريخ ادارة الدولة التي تسيطر على الريف وعلى المدينة ذاتها. فالمدينة لم تمثّل حتى الآن سوى ساحةً صراع من أجل الحرية التاريخية، وليس امتلاكاً لها. المدينة هي موضعُ التاريخ، لأنها تمثّل الوعي بالماضي، وكذلك تركُّز السلطة الاجتماعية، الذي يجعل المشروعَ التاريخي ممكناً. هكذا، فإن الميل الراهن الى تحلّل المدينة ليس سوى تعبير آخر عن التأخُّر في اخضاع الاقتصاد للوعي التاريخي، وفي توحيد المجتمع بتوليه من جديد السلطات التي انتُزعت منه.

(١٧٧)

«يُظهرُ الريفُ العكسَ تماماً: الانعزال والانفصال» (الإيديولوجيا الألمانية). والعمران الحضري، الذي يُدمِّر المدن، يُقيمُ من جديد ريفاً- زائفاً، يفتقر الى العلاقات الطبيعية للريف القديم وكذلك إلى العلاقات الاجتماعية المباشرة التي طرحتها المدينةُ التاريخية للتساؤل مباشرةً. وتُعيد

شروط السُكنى والسيطرة الاستعراضية في «الحيِّز المكاني المُنظَّم» الحالي خلقَ طبقية فلاحية مُصطنعة: فالتَّبعثر الجغرافي وضيق الأفق، اللذان منعا طبقة الفلاحين دائماً من القيام بعملٍ مستقل ومن تأكيد ذاتها كقوةٍ تاريخية خلاّقة، يعودان الآن ليصبحا السِّمتين المُميزتين للمنتَجين: تظلُّ حركة العالم الذي يصنعونَه بأنفسهم بعيدةً تماماً عن متناولهم مثلما كان الايقاع الطبيعي للأعمال بالنسبة للمجتمع الزراعي.. لكن هذه الطبقة الفلاحية، التي كانت بمثابة الأساس الراسخ «للاستبدال الشرقي»، والتي استدعى تفكُّكُها نفسُه قيامَ المركزة البيروقراطية، حين تعاودُ الظهورَ كنتاج لشروط نمو بيروقراطية الدولة الحديثة، فلا بد للامهالاتها الآن أن تُصنعَ ويتم الحفاظ عليها تاريخياً؛ أفسح الجهل الطبيعي مكانه للاستعراض المنظَّم للخطأ. و«المدُن الجديدة» للطبقة الفلاحية- الزائفة التكنولوجية تنقش فوق المشهد قُطيعتها مع الزمن التاريخي الذي بُنيت على أساسه؛ ويمكن أن يكون شعارها: «في هذه البقعة، لن يحدث شيءٌ أبداً، **ولم يحدث شيء على الإطلاق**». ولأن التاريخ، الذي يجب أن يتحرّر في المدن، لم يتحرّر بعد، فمن البديهي أن قوى **الغياب التاريخي** تبدأ في تشكيل مشهدها الحضري القاصر عليها.

(١٧٨)

إن التاريخ، الذي يتهدّدُ هذا العالمَ الفَيْشي هو كذلك القوةُ التي يمكنها إخضاع الفضاء للزمن المُعاش. والثورة البروليتارية هي هذا **النقد للجغرافيا البشرية** الذي من خلاله يكون على الأفراد والمجتمعات أن يخلقوا مواقع وأحداثاً تلائم تملّكهم لتاريخهم الكلي، وليس لعملهم فقط. وفي الفضاء المتغير لهذه اللعبة، وفي التنويعات المنتقاة بحرية لقواعد اللعب، يمكن إعادة اكتشاف استقلال المكان، دون الارتباط الحصري بالأرض من جديد، ومن هنا يعود واقع الرحلة، وواقع الحياة مفهومةً على أنها رحلة تحمل في داخلها معناها الكامل.

(١٧٩)

إن أعظم فكرة ثورية تتعلق بالعُمران الحضري ليست هي نفسها عُمرانية، ولاتكنولوجية ولا جمالية. إنها قرارُ إعادة إنشاء متكاملة للحيِّز المكاني وفق احتياجات سلطة المجالس العمالية، الديكتاتورية المضادة- للدّولة للبروليتاريا، وفق احتياجات الحوار القابل للتنفيذ exécutaire وسلطة المجالس، التي لايمكن أن تكون فعّالة الاّ بتغييرها للشروط القائمة برمتها، لايمكن أن تعهد لنفسها بمهمة أقلّ من هذه إذا أرادت أن يُعترَف بها وأن **تتعرّف هي على نفسها في عالمها**.

(٨)

النفي والاستهلاك في الثقافة

"هل سنعيش ما يكفي لكي نرى ثورةً سياسية؟ نحن، المعاصرون لأولئك الألمان؟ يا صديقي، إنك تعتقد ما تشاء ... فحين أحكم على ألمانيا بعد تاريخها الحالي، فلن تعارضني في أن كل تاريخها مزيف وكل حياتها العامة الراهنة لا تمثل الحالة الحقيقية للشعب. إقرأ الصحف التي تريد، وكن على اقتناع بأن المرء لا يتوقف -وستوافقني على أن الرقابة لا تمنع أحداً من التوقف- عن الاحتفاء بالحرية والرفاهية القومية اللتين نملكهما."

روجه

(خطاب إلى ماركس، مارس ١٨٤٣)

(١٨٠)

الثقافة، في المجتمع التاريخي المنقسم إلى طبقات، هي المجال العام للمعرفة ولتمثيلات ماهو مُعاش؛ مما يعني القول بأنها هذه القدرة على التعميم التي توجد على حدة، بوصفها تقسيماً للعمل الذهني وعملاً ذهنياً للانقسام. وتنفصل الثقافة عن وحدة مجتمع الأسطورة، «حين تختفي قوة التوحيد من حياة الإنسان وتفقد الأضداد علاقتها وتفاعلاتها الحية وتكتسب الاستقلال...» (مبحث هيجل في الاختلافات بين نسقي فيشته وشيللينج). بإحرازها لاستقلالها، تبدأ الثقافة حركة إثراء إمبريالية تعني في نفس الوقت تدهورَ استقلالها. والتاريخ الذي يخلق الاستقلال النسبي للثقافة، والأوهام الإيديولوجية عن هذا الإستقلال، يعبر عن نفسه كذلك بوصفه تاريخاً للثقافة. ويمكن فهم كل التاريخ الظافر للثقافة بوصفة تاريخ إيضاح عدم كفايتها، بوصفة مسيرةً باتجاه كبتها- الذاتي. الثقافة هي موضع البحث عن الوحدة الضائعة. وفي هذا البحث عن الوحدة، تكون الثقافة بوصفها مجالاً منفصلاً مضطرةً لنفي نفسها.

(١٨١)

لايمكن مواصلة الصراع بين التقاليد والتجديد، الذي هو مبدأ التطور الداخلي للثقافة في المجتمعات التاريخية، إلا عبر الانتصار الدائم للتجديد. إلا أن التجديد الثقافي لاتحمله سوى الحركةُ التاريخية الكلّية، التي باكتسابها للوعي بكلّيتها، تميل إلى إبطال افتراضاتها الثقافية المسبقة، وتمضي باتجاه إلغاء كلّ انفصال.

(١٨٢)

ان نمو المعرفة بالمجتمع، التي تتضمن فهم التاريخ باعتباره لُبَّ الثقافة، هذا النمو يستمدُّ من نفسه معرفةً لارجعة فيها، يُعبِّر عنها تحطيمُ الإله. لكن هذا «الشرط الأولَ لكل نقد» هو كذلك الالتزام الأولُ لنقد بلانهاية. فحيث لايعود بالإمكان التمسّك بأي قاعدة للسلوك، نجد أن كل نتيجةٍ للثقافة تجعلها تتقدم باتجاه تحلّلها. ومثل الفلسفة في لحظة إحرازها لاستقلالها الكامل، فإن كل مذهب صار مستقلاً لابد أن ينهار، أولاً بوصفه ادعاءً بتفسير متماسك للكلّية الاجتماعية، وفي النهاية بوصفه أداةً جزئية يمكن استخدامها داخل حدودها الخاصة. إن افتقاد العقلانية في الثقافة المنفصلة هو العنصر الذي يحكُم عليها بالاختفاء، لأن انتصار ماهو عقلاني موجود فيها فعلا بوصفه

مطلباً.

(١٨٣)

نبعت الثقافة من التاريخ الذي ألغى طريقة حياة العالم القديم، لكنها بصفتها مجالاً منفصلاً لاتعدو بعدُ أن تكونَ ذكاءً وتواصلاً محسوساً، يظلان جزئيين في مجتمع تاريخي جزئياً. إنها معنى عالم يكاد يكون بلامعنى.

(١٨٤)

تتبدّى نهايةُ تاريخ الثقافة في جانبين متعارضين: مشروع تجاوزها في التاريخ الكلّي، وتنظيم الإبقاء عليها، بوصفها موضوعاً ميتاً، في التأمل الاستعراضي. وقد ربط أولى هاتين الحركتين مصيرها بالنقد الاجتماعي، بينما ربطته الثانية بالدفاع عن السلطة الطبقية.

(١٨٥)

يوجد كلُّ جانبٍ من جانبيَ نهاية الثقافة في شكل موحّد- في كل مجالات المعرفة مثلما في كل مجالات التمثيلات المحسوسه- فيما كان يعينه الفن بأوسع معانيه. في الحالة الأولى[حالة المعرفة]، نجد أن التراكم في المعارف المُفتّتة، التي تصير غير صالحة للاستخدام لأن الموافقة على الشروط القائمة لابد في النهاية أن تَتَنكّر لمعارفها ذاتها، هذا التراكم يُواجه نظرية الممارسة التي تملك وحدها حقيقة هذه المعارف لأنها وحدها تملك سر استخدامها. وفي الحالة الثانية[حالة التمثيلات]، نجد أن التدمير- الذاتي النقدي للّغة العامة القديمة للمجتمع يُواجه إعادة تشكيلها الاصطناعية في الاستعراض السلعي، الذي هو التمثيلُ الوهمي لما ليس حيّاً.

(١٨٦)

بفقدان الجماعة الإنسانية لمجتمع الأسطورة، لابد للمجتمع أن يفقد كلَّ إحالةٍ إلى لغةٍ مشتركة فعلاً حتى اللحظة التي يمكن فيها تجاوزُ التمزق داخلَ الجماعة الإنسانية الحاملة عن طريق بلوغ الجماعة الإنسانية التاريخية الحقة. ومنذ أن يصبح الفنُّ، الذي كان يمثل اللغة المشتركة للخمول الاجتماعي، مستقلاً بالمعنى الحديث، ويخرج من عالمه الديني الأول ليصبح إنتاجاً فردياً لأعمال منفصلة، فإنه يَخْبَرُ بدوره الحركة التي تحكم تاريخ مجمل الثقافة المنفصلة. وتأكيد استقلاله هو بداية تحلُّله.

(١٨٧)

يجد فقدانُ لغة التواصل التعبيرَ الإيجابي عنه في حركة التحلل الحديث لكل الفنون، في تصفيتها الشكلية. أمّا ماتعبر عنه هذه الحركة سلبياً، فهو حقيقة أن من الضروري إعادة اكتشاف لغة مشتركة - ليس في النتيجة الأحادية الجانب التي كانت تصل دائماً متأخرةً، بالنسبة لفن المجتمع التاريخي، مُتحدّثةً لآخرين عما كان مُعاشاً دون حوار حقيقي، ومُسلّمةً بهذا العيب في الحياة-، بل لابد من إعادة اكتشافها في الممارسة، التي تجمع في داخلها بين النشاط المباشر ولغته. المشكلة هي أن نمتلك فعلاً الجماعة الانسانية للحوار واللعب مع الزمن اللذين مثّلتهما الأعمال

(١٨٨)

حين يُصوِّر الفن، الذي أصبح مستقلاً، عالمه في ألوانٍ زاهية، تكون لحظةٌ من الحياة قد شاخت ولا يمكن استعادة شبابها بألوانٍ زاهية. إن عَظَمة الفن لاتبدأ في الظهور إلاّ عند غروب الحياة.

(١٨٩)

عبَّر الزمنُ التاريخي، الذي يتغلغلُ في الفنِ، عن نفسه أولاً في مجال الفن ذاته، ابتداءً من الباروك baroque . الباروك؛ هو فَنُّ عالمٍ فقدَ مركزَه: فقد انهار آخر نظام أسطوري أقرَّ به العصر الوسيط، في الكون وفي الحكومة الأرضية- ألاوهو وحدةُ المسيحية وسرابُ الامبراطورية. وعلى فن التغيُّر أن يحمل في داخله المبدأ السريع الزوال الذي يكتشفه في العالم. لقد اختار، كما يقول يوجينيو دورس Eugenio d'Ors ، «الحياة ضد الأبدية». والمسرح والاحتفال، الاحتفال المسرحي، هما الإنجازان البارزان للباروك، وفيهما لايكتسب أي تعبير فني معيّن معناه الاّ في علاقته بديكور مكانٍ مبنى، في علاقته ببناءٍ يمثّل بالنسبة لنفسه مركز التوحيد؛ وهذا المركز هو المَمَر passage ، المُسَجَّلُ بوصفه إتزاناً مُهدِّداً في الفوضى الدينامية لكل شيء. والأهمية، المُبالَغ فيها أحياناً، التي تُعزى الى مفهوم الباروك في النقاش الجمالي المعاصر، تُعبِّر عن الوعي باستحالة قيام كلاسيكية فنية: إذ أن الجهود لتحقيق كلاسيكية أو كلاسيكية- جديدة معيارية، طوال ثلاثة قرون، لم تكن سوى بناءات مصطنعة قصيرة الأجل تتحدث اللغة الخارجية للدولة، لغة الحُكم المطلق أو لغة البورجوازية الثورية المُتشحة بالزي الروماني. ما تلى المسار العام للباروك، من الرومانسية الى التكعيبية، هو في نهاية الأمر فنٌ للنفي ذو طابع شخصي متزايد باستمرار، يجُدِّد نفسه على الدوام الى درجة التبعثر والنفي الكاملين للمجال الفني. كما أن اختفاء الفن الثاريخي الذي ارتبط بالتواصل الداخلي لجماعة نخبة، والذي وجد قاعدته الاجتماعية شبه- المستقلة في الشروط اللّعبيّة جزئياً والتي كانت تعيشها آخر الارستقراطيات، يُعبِّر كذلك عن حقيقة أن الرأسمالية تملك أول سلَطة طبقية تعترف بأنها مجرَّدة من أي ميزة أنطولوجية؛ وهي سلطة تعني كذلك فقدان كل سيطرة maîtrise إنسانية، لأن جذرها يكمن في مجرد ادارة الاقتصاد. والمجموع الباروكي المتآلف، الذي يمثّل هو نفسه وحدة الإبداع الفني التي طال فقدانها، يُعاد اكتشافه على نحوٍ ما في الاستهلاك الحالي لمجمل الماضي الفني. فحين يتم الإدراك والقبول التاريخيين لكل فن الماضي، ويُعاد بناؤه استرجاعياً على هيئة فنٍ عالمي، يكتسب هذا الفن طابعاً نسبياً ويتحولّ إلى فوضى شاملة تُقيم بدورها بناءً باروكياً على مستوى أعلى، بناءً يمتزج فيه نفس إنتاج الفن الباروكي مع كل انبعاثاته. للمرة الأولى، يصبح بإمكان فنون جميع الحضارات وجميع العصور أن تكون كلها معروفةً ومقبولةً معاً. وحين تُصبح هذه «المجموعة من التذكارات» لتاريخ الفن ممكنةً، فذلك يعني أيضاً نهاية عالم الفن. في عصر المتاحف هذا، حين لم يعد أي تواصل فني ممكناً، أصبح بالإمكان قبول كل لحظات الفن السابقة على قدمِ المساواة، لأن أياً منها لم يعد يعاني من فقدان شروط توصيلها النوعية، في الفقدان العام لشروط التواصل.

(١٩٠)

الفن في عصر تحلّله، باعتباره حركةً سلبية تسعى إلى تجاوز الفن في مجتمع تاريخي لم يصبح التاريخُ فيه مُعاشاً بعد، هو، في آن واحد، فن تغيير والتعبير الخالص عن استحالة التغيير. وكلما زاد طموحه عظمةً، كلما كان تحققه الحقيقي خارجاً عن نطاقه. هذا الفن، بالضرورة، فن طليعي، وليس كذلك. فطليعته هي اختفاؤه.

(١٩١)

الدادائية والسوريالية هما التياران اللذان يُحدِّدان نهاية الفن الحديث. فهما معاصرتان، ولو بطريقة واعية نسبياً فقط، لآخر هجوم كبير للحركة الثورية البروليتارية؛ واندحار هذه الحركة، الذي تركهما سجينتين في نفس الحقل الفني الذي أعلنتا تداعيه، هو السبب الرئيسي لجمودهما. الدادائية والسوريالية مرتبطتان ومتعارضتان تاريخياً في آن واحد. وفي هذا التعارض، الذي تعتبره كل واحدة منهما أهم وأكثر إسهاماتها جذريةً، يتجلّى النقص الكامن لنقدهما، الذي طورته هذه وتلك بطريقة أحادية الجانب. فقد أرادت الدادائية **إبطال الفن دون تحقيقه**؛ بينما أرادت السوريالية تحقيق الفن دون إبطاله. وقد أوضح الموقف النقدي الذي طوّره **الموقفيّون** situationnistes فيما بعد أن إبطالَ الفن وتحقيقه هما جانبان لاينفصمان لنفس تجاوز الفن.

(١٩٢)

الاستهلاكُ الاستعراضي الذي يحفظُ الثقافةَ الماضية المجمّدة، ويتضمّن التكرار المستعادَ لتبدّياتها السلبية، يعكسُ بوضوحٍ في قطاعه الثقافي ما يمثّله ضمنياً في كلّيته: أي **توصيل مالايقبل التوصيل**. في هذا الإطار، يتم الاعترافُ بوضوحٍ بالتدمير الصارخ للّغة بوصفه قيمةً إيجابية رسمية، لأن المقصودَ هو إعلانُ المصالحة مع الوضع السائد للأمور، الذي يتم فيه بابتهاج إعلانُ غيابِ كلِّ تواصل. وبديهي أنه يتم إخفاء الحقيقة النقدية لهذا التدمير، التي هي الحياة الفعلية للشعر والفن الحديثين، لأن الاستعراض، الذي له **وظيفة جعل التاريخ منسيّاً في الثقافة**، يُطبّق في الجدّة- الزائفة لوسائله الحداثية نفس الاستراتيجية التي تشكل جوهره. ومن هنا يمكن لمدرسة للأدب- الجديد، تعترفُ ببساطة بأنها تتأمل الكلمةَ المكتوبة لذاتها، أن تقدّم نفسها على أنها جديدة. وفضلاً عن ذلك، والى جانب الإعلان من البسيط عن الجمال الكافي لتحلّل ما يقبل التوصيل، فإن أحدث اتجاهات الثقافة الاستعراضية- وأشدها ارتباطاً بالممارسة القمعية للتنظيم العام للمجتمع- تسعى، عن طريق «أعمال جماعية»، الى إعادة تشكيل وسط محيط فني- جديد مركّب انطلاقاً من عناصر متحلّله؛ خصوصاً في محاولات العمران الحضري لفرض تكامل الأنقاض الفنية أو التهجينات الجمالية- التقنية. ويُعبّر هذا، على مستوى الثقافة- الزائفة الاستعراضية، عن المشروع العام للرأسمالية المتطوّرة الذي يستهدف الإمساك من جديد بالعامل المُفتّت باعتباره «شخصية متكاملةً جيداً في الجماعة»، وهذا هو الميل الذي وصفه السوسيولوجيون الأمريكيون (ريزمان، وايت، إلخ. Riesman, Whyte, etc.).إنه نفس المشروع في كل مكان: **إعادة البنينة دون جماعة إنسانية**.

(١٩٣)

حين تصبحُ الثقافةُ مجردَ سلعة، لابد لها كذلك أن تصبح السلعةَ- النجمةَ للمجتمع الاستعراضي. وقد حسب كلارك كيرClark Kerr، أحد أكثر إيديولوجيي هذا الاتجاه تقدّماً، أن العملية المعقّدة لإنتاج، وتوزيع، واستهلاك المعارف، تجلب ٢٩٪ من الناتج القومي السنوي في الولايات المتحدة؛ ويتنبأ بأن الثقافة، خلال النصف الثاني من هذا القرن، ستقوم بدور القوة الدافعة لتطور الاقتصاد، وهو الدور الذي قامت به السيّارة في النصف الأول من هذا القرن، والسكك الحديدية خلال النصف الثاني من القرن الماضي.

(١٩٤)

إن كل فروع المعارف التي تواصل تطورها الآن بوصفها فكر الاستعراض، عليها أن تبرّر مجتمعاً لامبرّر له، وأن تشكّل علماً عاماً للوعي الزائف. وهي مشروطةٌ تماماً بحقيقة أنها لاتستطيع ولاتريد التفكير في قاعدتها المادية داخل النسق الاستعراضي.

(١٩٥)

يجد فكر النظام، فكر التنظيم الاجتماعي للتبدّي، نفسه وقد أوقعه في الغموض نفس الاتصال- الناقص sous- communication المُعمِّم الذي يدافع عنه هذا الفكر. إنه لايعرف أن الصراع يكمن في أصل كل أشياء عالمه. وأخصائيو سلطة الاستعراض، السلطة المطلقة داخل نسقها للغة دون جواب، قد أفسدتهم تماماً خبرتهم في الاحتقار وفي نجاح الاحتقار؛ فهم يجدون تأكيد احتقارهم في معرفتهم للإنسان المثير للاحتقار الذي يمثله المشاهد حقاً.

(١٩٦)

داخل الفكر المتخصّص للنسق الاستعراضي، يعمل تقسيمٌ جديد للمهام بقدر مايطرحُ تحسينُ هذا النسق مشكلات جديدة: فمن جهة، نجد أن السوسيولوجيا الحديثة، التي تدرس الانفصال بمساعدة الأدوات المفهومية والمادية للانفصال، تتولّى النقد الاستعراضي للاستعراض؛ ومن الجهة الثانية، يتأسس الدفاع عن الاستعراض في هيئة فكر اللافكر، في فقدان ذاكرة رسمي للممارسة التاريخية. إلاّ أن اليأس الزائف للنقد غير الجدلي والتفاؤل الزائف للدعاية الخالصة للنسق متماثلان في أنهما فكرٌ خاضع.

(١٩٧)

إن السوسيولوجيا التي بدأت، في الولايات المتحدة أولاً، في تركيز النقاش على شروط الحياة التي نتجت عن التطور الحالي، اذا كانت قد جمعت قدراً كبيراً من المعطيات الإمبيريقية، فإنها لم تدرك أبداً حقيقة موضوعها ذاته، لأنها لم تعثر فيه على النقد المحايث له. والنتيجة هي أن الاتجاه الاصلاحي عن إخلاصٍ لهذه السوسيولوجيا قد لجأ الى الأخلاق، والحسّ السليم، وهي نداءات تخلو تماماً من الدلالة بالنسبة للمقاييس العملية، الى آخره. ولأن هذه الطريقة في النقد تجهل السلب الكامن في لبّ عالمها، فإنها لاتفعل سوى الإصرار على وصف نوعٍ من فائض القيمة السلبي يبدو لها

مزعجاً على السطح بشكل يبعث على الأسف، كانتشار طفيلي لاعقلاني. هذه النيّة الطيبة الناقمة، حتى باعتبارها أصيلة، تنتهي بتوجه اللوم الى العواقب الخارجية للنسق فحسب، لكنها تعتبر نفسها نقديّة، متناسية الطابع الدفاعي أساساً لافتراضاتها ومنهجها.

(١٩٨)

أولئك الذين يشجبون عبثيّة أو مخاطر التحريض على التبديد في مجتمع الوفرة الاقتصادية، لايفهمون جدوى التبديد. إنهم يُدينون بجحود، باسم العقلانية الاقتصادية، الحُمَاة اللاعقلانيين الطيّبين الذين بدونهم تنهار سلطة هذه العقلانية الاقتصادية. وعلى سبيل المثال، فإن بورستان-Boorstin، الذي يصفُ في كتابه **الصورة** L'Image الاستهلاكَ السلعي للاستعراض الأمريكي، لايصل أبداً إلى مفهوم الاستعراض، لأنه يعتقد أن بإمكانه إبقاء الحياة الخاصة، أو مقولة «السلعة النزيهة»، خارج نطاق هذه المبالغة المشئومة. إنه لايدرك أن السلعة ذاتها قد صنعت القوانين التي لابد أن يؤدي تطبيقها «النزيه» إلى الواقع المختلف للحياة الخاصة وإلى استعادتها التالية من جانب الاستهلاك الإجتماعي للصُوَر.

(١٩٩)

يصف بورستان تجاوزات عالمٍ أصبح غريباً عنّا، باعتبارها تجاوزات غريبة عن عالمنا. لكن القاعدة «العادية» للحياة الاجتماعية، التي يشير إليها ضمنياً حين يُحدِّدُ ملامح السيطرة السطحية للصور، بأحكامٍ سيكولوجية وأخلاقية، على أنها نتاجُ «لادعاءاتنا المفرطة»، ليس لها أي واقع، لافي كتابه ولا في عصره. وهو لايستطيع فهم مجتمع الصور بكل أعماقه، لأن الحياة الإنسانية الواقعية التي يتحدث عنها، تقع بالنسبة له في الماضي، وتتضمن ماضي التسليم الديني. إن **حقيقة** هذا المجتمع ليست سوى **نفي** هذا المجتمع.

(٢٠٠)

السوسيولوجيا التي تعتقد أن بإمكانها أن تعزل عقلانيةً صناعيةً تعمل على حدة عن مجمل الحياة الاجتماعية، يمكنها المضيُّ الى حدٍّ أن تعزل تقنيات إعادة الانتاج والنقل عن الحركة الصناعية الكلّية. هكذا يجد بورستان أن سبب النتائج التي يُصوِّرها هو الالتقاء التعس، الذي يكاد يكون صُدَفيّاً، بين جهاز تقني مفرط الضخامة لنشر الصور وبين انجذاب مفرط الى الحسيّ- الزائف من جانبَ أناس عصرنا. ومن هنا سيكون الاستعراض ناشئاً عن حقيقة كون الإنسان الحَديث متفرجاً أكثر مما ينبغي. ولا يفهم بورستان أن انتشار «الأحداث- الزائفة» السابقة- التجهيز، الذي يشجبه، ينبع من حقيقة بسيطة، هي أن الناس، في الواقع الشامل للحياة الاجتماعية، لايعيشون الأحداث بأنفسهم. لأن التاريخ نفسه يُطارد المجتمع كشبح، لمجد أن التاريخ- الزائف يُقام في كل مستويات استهلاك الحياة، لكي يحافظ على التوازن المُهدَّد للزمن المُجَمَّد الراهن.

(٢٠١)

إن تأكيد الاستقرار النهائي لفترة تجميدٍ قصيرة للزمن التاريخي هو الأساس الذي لايقبل الإنكار، والمُعلن بصورة واعية ولاواعية، للميل الراهن الى القولبة النسقية البنيوية. ووجهة النظر

التي ينظرُ منها فكرُ البنيوية المعادي- للتاريخ هي وجهة نظر الحضور الأبدي لنسقٍ لم يخُلق قط ولن ينتهي أبداً. وقد أمكن، بشكل تعسفي، استخلاص حلم ديكتاتورية بنيةٍ موجودة سلفاً على كل ممارسة اجتماعية، من نماذج البنيات التي طوّرتها اللغويات والاثنولوجيا (وحتى تحليل أداء الرأسمالية)، وهي نماذجٌ أسيء فهمها فعلاً في هذا السياق، وذلك ببساطة لأن الفكر الأكاديمي للكوادر المتوسطة، الغارق والمتمترس تماماً في الحفاوة التوقيرية للنسق القائم، يختزل بوضوح كلَّ واقعٍ الى وجود النسق.

(٢٠٢)

مثلما هو الحال مع كل علمٍ اجتماعي تاريخي، لابد لكي نفهم المقولات «البينوية»، أن يظل ماثلاً في أذهاننا أن المقولات تعبّر عن أشكال وجود وشروط وجود. وبالضبط مثلما لايمكن للمرء تقدير قيمة شخص حسب المفهوم الذي لديه عن نفسه، فلا يمكن للمرء تقدير هذا المجتمع المحدد- والإعجاب به- بأخذ اللغة التي يتحدث بها الى نفسه على أنها حقيقة لاجدال فيها. « لايمكن للمرء تقدير عصور التغيير تلك وفق الوعي الذي تملكه؛ بل على العكس، يجب على المرء تفسير الوعي بمساعدة تناقضات الحياة الماديّة...». البنية هي وليدة السلطة القائمة والبنيوية هي الفكر الذي تضمنه الدولة، والذي يعتبر الشروط القائمة «للاتصال» الاستعراضي شروطاً مطلقة. وطريقتها في دراسة شفرة الرسائل في ذاتها ليست سوى النتاج، والاعتراف، بمجتمع يوجد فيه الاتصال في شكل سلسلة من العلامات المراتبية. وبالتالي، فليست البنيوية هي التي تفيد في إثبات الصلاحية عبر- التاريخية لمجتمع الاستعراض؛ بل على العكس، فإن مجتمع الاستعراض الذي يفرض نفسه كواقع شاملٍ هو الذي يفيد في إثبات الحلم البارد للبنيوية.

(٢٠٣)

لاشك أن المفهوم النقدي للاستعراض يمكن ابتذاله هو أيضاً إلى صيغةٍ سوقية فارغة للبلاغة السوسيولوجية- السياسية لتفسير وشجب كل شيء على نحوٍ مجرد، وبذلك يخدم في الدفاع عن النسق الاستعراضي. فمن البديهي أن أية فكرة لايمكن أن تؤدي إلى تجاوز الاستعراض الماثل، بل فقط إلى تجاوز الأفكار الماثلة عن الاستعراض. ولتدمير مجتمع الاستعراض تدميراً فعلياً، يحتاج الأمر الى بشرٍ يضعون قوةً عمليةً موضعَ الفعل. ولاتكون النظرية النقدية للإستعراض صحيحةً إلا في اتحادها مع التيار العلمي للنفي في المجتمع، وهذا النفي، الذي هو استئناف النضال الطبقي الثوري، سوف يصبح واعياً بذاته عن طريق تطوير نقد الاستعراض، الذي هو نظريةُ شروطه الواقعية، أي الشروط العملية للاضطهاد الراهن، ويكشف عكسياً، عن السر الذي يمكن أن يكونه هذا النفي. هذه النظرية لاتنتظر من الطبقة العاملة معجزات. إنها تستشرف الصيغة والتحقق الجديدين للمتطلبات البروليتارية كمهمةٍ طويلة المدى. وللتمييز بشكل مصطنع بين النضال النظري والنضال العملي- إذ على الأساس المحدّد هنا، لايمكن بعد تصوّر إقامة وتوصيل مثل تلك النظرية دون ممارسة صارمة-، فإن من المؤكد أن الطريق الغامض والصعب للنظرية النقدية لابد كذلك أن يكون من نصيب الحركة العملية التي تعمل على مستوى المجتمع.

(٢٠٤)

يجب توصيل النظرية النقدية بلغتها الخاصة. إنها لغة التناقض، التي يجب أن تكون جدلية في شكلها مثلما هي في مضمونها. إنها نقدٌ للمجموع الكلّي ونقدٌ تاريخي. إنها ليست «درجة الصفر للكتابة» بل عكس ذلك. إنها ليست نفياً للأسلوب، بل أسلوب النفي.

(٢٠٥)

في أسلوبه ذاته، يمثّل عَرْضُ النظرية الجدلية فضيحةً واحتقاراً بالنسبة للغة السائدة، وللأذواق التي شكّلتها هذه اللغة، لأن هذا العَرْضَ حين يستخدم المفاهيم العينية الموجودة، يتضمّن في نفس الوقت الوعيَ بسيولتها المُكتَشَفَة من جديد، بتدميرها الضروري.

(٢٠٦)

هذا الأسلوب الذي يحتوي على نقده الخاص يجب أن يُعبِّر عن سيطرة النقد الحالي على كل ماضيه. بالنسبة له يشهدُ نمطُ عرض النظرية الجدلية نفسُه على الروح السلبية الموجودة فيها. «الصدق ليس مثل المنتَج الذي لايعود المرء يجد فيه أي أثر للأداء التي صنعته.» (هيجل). هذا الوعي النظري بالحركة، الذي يجب أن يكون حاضراً فيه أثرُ الحركة ذاته، يتبدّى بواسطة قلب ren-versement العلاقات القائمة بين المفاهيم وبواسطة تحريف détournement كل مايحوزه النقد السابق. وقلبُ المضاف إليه هو هذا التعبير عن الثورات التاريخية، المنقول إلى شكل الفكر، والذى اعتُبر أنه الأسلوب الإبيجرامي لهيجل. أمّا ماركس الشاب، الذي أوصى بالتقنية التي استخدمها فويرباخ Feuerbach استخداماً مضطرداً، والمتمثّلة في استبدال الفاعل بالمُستَند، فقد حقّق الاستخدام الأكثر اتساقاً لهذا **الأسلوب التمرّدي** الذي استخرج بؤس الفلسفة من فلسفة البؤس.ويؤدي التحريف إلى تخريب النتائج النقدية الماضية التي تجمّدَت في حقائق محترمة، أى تحوّلت الى أكاذيب. فقد استخدمه كيركجارد Kierkgaard استخداماً متعمّداً، مضيفاً إليه استنكاره له:«لكن رغم كل اللفّ والدوران، فكما تعود المُربّى دائماً إلى خزانة الطعام، فإنك تنتهى دائماً بأن تنزلق منك كلمة صغيرة ليست لك وتزعجك بالذكرى التي توقظها».(شذرات فلسفية)، إن الالتزام باتخاذ مسافة تجاه ماتم تزييفهُ إلى صدقٍ رسمّي هو مايُحدّد هذا الاستخدامَ للتحريف، كما اعترف به كيركجارد في نفس الكتاب.«ملاحظة واحدة أخيرة على إشاراتك العديدة الموجهة جميعها الى الأسى الذي أمزجه باستشهاداتي بأقوال مُستعارة. إنني لا أنكره هنا ولن أخفي أنه كان بإرادتي وأنني في استكمال تالٍ لهذه الكراسة، اذا قُدّر لي أن أكتبه، أنوي أن أسمّي الشيء باسمه الحقيقي وأن ألبس المشكلة ثوبها التاريخي».

(٢٠٧)

الأفكارُ تتحسّن. وتُسهم في ذلك معاني الكلمات. الانتحالُ ضروريٌ. والتقدمُ يتضمّنه. إنه يمسكُ بخناق عبارةٍ لمؤلف، ويُفيد من تعبيراته، ويمحو فكرةً زائفة، ويستبدلها بفكرة صحيحة.

(٢٠٨)

التحريف Le détournement هو نقيض الاستشهاد La citation ، نقيض السلطة النظرية التي تُزَيِّف دوماً بمجرد أن تصبح استشهاداً - شذرةً منتزعةً من سياقها، ومن حركتها، وأخيراً من عصرها بوصفه الإطار المرجعي الشامل ومن الاختيار المحدد الذي مثّله في داخل هذا الإطار، سواء أكان هذا الاختيار معترفاً به أو خاطئاً. التحريف هو اللغة المرنة لما هو ضد- الايديولوجيا. وهو يظهر في الاتصال، الذي لايمكنه الادعاء بأنه يحمل أي ضمانٍ في ذاته وبشكل نهائي. وهو، في ذروته، اللغة التي لايمكن أن يؤكدها أي مرجع سابق أو فوق- نقدي. بل على العكس فإن تماسكه الخاص، في ذاته ومع الحقائق القابله للتطبيق، هو الذي يمكن أن يؤكد نواه الصدق القديمة التي يحملها. إن االتحريف لم يؤسس قضيته على أي شيء خارجي عن صدقه الخاص بوصفه نقداً راهناً.

(٢٠٩)

إن مايُقدِّم نفسه بوضوح، في الصياغة النظرية، على أنه مُحَرِّفٌ، مُنكراً كل استقلال قابل للدوام لمجال التعبير النظري، بإدخاله، من **خلال هذا العنف**، للفعل الذي يَخلُّ بكل نظام قائم ويُطيح به، يُذكِّرنا بأن وجودَ النظرية ليس شيئاً في ذاته، ولا يمكنه أن يعرف نفسه إلا من خلال الفعل التاريخي، **والتصحيح التاريخي** الذي هو صِنوه الحقيقي.

(٢١٠)

النفي الحقيقي للثقافة هو وحده الذي يمكنه الحفاظ على معناها. ولم يعد يمكنه أن يكون ثقافياً. ومن هنا فإن هذا النفي هو ما يبقى، على نحوٍ معيّن، في مستوى الثقافة، لكن بمعنى مختلفٍ تماماً.

(٢١١)

بلغة التناقض، يُقدِّم نقدُ الثقافة نفسَه باعتباره نقداً مُوحَّداً: من حيث أنه يحكمُ مجملَ الثقافة- المعرفة وكذلك الشعر-، ومن حيث أنه لايعود ينفصل عن نقد الكلّ الاجتماعي. هذا **النقد النظري الموحَّد** هو الذي يمضي وحده ليلتقي مع **الممارسة الاجتماعية الموحَّدة**.



(٩)

الايديولوچيا المتجسدة مادياً

"الوعي الذاتي - يوجد في ذاته ولذاته من حيث ولأنه يوجد في ذاته ولذاته بالنسبة لوعي ذاتي آخر؛ وهذا يعني أنه لايوجد إلاّ بقدر مايُعتَرَف به."

هيجل

(فينومنولوچيا الروح).

(٢١٢)

الايديولوچيا هي قاعدةٌ فكر مجتمع طبقي في مسار التاريخ الحافل بالنزاعات. والحقائق الايديولوچية لم تكن أبداً مجرد أوهام، بل وعياً مشوّهاً بجوانب الواقع، تُمثّل، بوصفها كذلك، عواملَ واقعية تُحرّك بدورها أفعالاً واقعيةً مشوّهة. ويتجلّى ذلك بدرجة أكبر مع التجسّد المادي للايديولوچيا، والناتج عن النجاح الملموس للإنتاج الاقتصادي ذي الطابع المستقل، فهذا التجسدُ المادي للايديولوچيا، في شكل الاستعراض، يقوم بالخلط عملياً بين الواقع الاجتماعي وبين ايديولوچيا قد كيّفَت كلٌ واقع على أساس نموذجها.

(٢١٣)

الايديولوچيا، التي هي الرغبةُ المُجَرَّدة في الكلّي، ووهمُه، حين تكتسبُ المشروعية بواسطة التجريد الكلّي والديكتاتورية الفعلية للوهم في المجتمع الحديث، فإنها لاتعودُ تمثّل النضالَ الإرادي لما هو جزئي، بل انتصارَه. وعند هذه النقطة، يكتسب الادعاءُ الايديولوچيُ نوعاً من الدقّة الوضعية المسطّحَة: فلم يُعد خياراً تاريخياً، بل حقيقة. في هذا النوع من التأكيد، اختفت الأسماء المحدّدة للايديولوچيات. وحتى دور العمل الايديولوچي النوعي في خدمة النسق فإنه لايعود يُعتَبَر أكثر من اعتراف «بأساس إبستمولوچي» يزعمُ أنه يتجاوز كلَّ الظواهر الايديولوچية. الايديولوچيا المتجسّدة مادياً هي نفسها بلاإسم، مثلما هي دون برنامج تاريخي يمكن التعبير عنه. وهذا يعني من جديد أن تاريخ الايديولوچيات قد انتهى.

(٢١٤)

الايديولوچيا، التي قادَ كلُّ منطقها الداخلي باتجاه «الايديولوچيا الكلّية»، بالمعنى الذي يقصده مانهايم Mannheim - أي استبداد الشذرة التي تفرض نفسها بوصفها معرفةً- زائفة بكلٍ مُتَجَمِّد، بوصفها رؤية شمولية يتم الأن استكمالها في الاستعراض السكوني للّا- تاريخ. واكتمالها يعني أيضاً تحلّلها في مجموع المجتمع. ومع التحلّل العملي لهذا المجتمع، يجب أن تختفي الايديولوچيا، التي هي اللاعقل النهائي الذي يعوق الوصول إلى الحياة التاريخية.

(٢١٥)

الاستعراض هو الايديولوجيا بامتياز، لأنه يُوَضِّحُ ويَعرضُ بشكلٍ كامل جوهرَ كل نسق ايديولوجي: إنقار، وإخضاع، ونفي الحياة الواقعية. الاستعراض هو مادياً «التعبير عن الانفصال والتباعد بين الإنسان والإنسان». إنه «**القوة الجديدة للخداع**»، المُركّزة في أساس الأستعراض في هذا الإنتاج، والتي بواسطتها «ينمو المجال الجديد للكائنات الغريبة التي يخضع لها الإنسان... مع نمو كتلة الأشياء». إنه المرحلة العليا من توسُّع وجْه الحاجة ضد الحياة. «الحاجة إلى النقود هي إذن الحاجة الحقيقية التي ينتجها الاقتصاد السياسي، والحاجة الوحيدة التي ينتجها.» (المحظوطات الاقتصادية- الفلسفية). يَمُدُّ الاستعراض إلى كل الحياة الاجتماعية المبدأ الذي يدركه هيجل، في **الفلسفة الواقعية** Realphilosophie لمرحلة يينا Iéna، على أنه مبدأ النقود؛ إنه «حياةُ ماهو ميّت، التي تتحرك داخل ذاتها».

(٢١٦)

على نقيض المشروع الملخّص في **الأطروحات حول فويرباخ** Thèse sur Feuerbach (أي تحُقق الفلسفة في الممارسة التي تتجاوز التعارضَ بين المثالية والمادّية)، فإن الاستعراضَ، في آنٍ واحد، يحفظُ ويفرضُ، داخل التماسك- الزائف لعالمه، السماتَ الايديولوجية للمادية والمثاليه. يحقق في الاستعراض الجانبُ التأملي للمادية القديمة الذي يدرك العالم بوصفه تمثيلاً وليس نشاطاً- والذي يضفي، في النهاية، الطابع المثالي على المادة- حيث تصبح أشياءُ عينيةٌ سيدةَ الحياة الاجتماعية تلقائياً. وفي المقابل، يتحقق في الاستعراض كذلك **النشاط الذي تحلّم** به المثالية- والذي يُضفي، في النهاية، الطابعَ المادي على مثالٍ مجرد، عن طريق التوسُّط التقني للعلاقات والإشارات.

(٢١٧)

التوازي بين الايديولوجيا والفُصام (الشيزوفرينيا) والذي برهن عليه جابل Gabel(في الوعي الزائف La Fausse Conscience) يجب وضعُه ضمن هذه العملية الاقتصادية لتجسيد الايديولوجيا مادياً. إن ما كانتهُ الإيديولوجيا، هو ماأصبحهُ المجتمع. وإزاحة الممارسة جانباً، والوعي الزائف ضد- الديالكتيكي المصاحب لذلك، هما ما يتم فرضهما في كل ساعةٍ من ساعات الحياة اليومية تخضع للاستعراض؛ هذا الاستعراض الذي يجب فهمه على أنه تنظيمٌ منهجي «لإخفاق مَلَكة الالتقاء». واستبدالٌ لها **بحقيقة اجتماعية هذيانية**: هي الوعي الزائف بالالتقاء «وهم الالتقاء». ففي مجتمع لم يعد ممكناً فيه لأي شخص أن يكون معترفاً به من جانب الآخرين، يصبح كلُ فرد عاجزاً عن التعرف على واقعه الخاص. تكون الايديولوجيا في دارها؛ ويكون الانفصال قد شيَّد عالمهَ.

(٢١٨)

يقول جابل، «في اللوحات البيانية الإكلينيكية للفُصام، يبدو اضمحلالُ ديالكتيك الكُلّية (الذي يكون شكلهُ الحدّي هو الانفصام) واضمحلالُ ديالكتيك الصيرورة (الذي يكون شكله الحدّي هو التصلّب الهيستيري [كاتاتونيا Catatonie]) متلازمين بقوة. إن وعي لتفرّج، سجين العالم

المسَطَّح، المقيَّد بشاشة الاستعراض، التي نُفيَت خلفها حياتُه هو، لايعرف سوى المتحدثين الخياليين interlocuteurs Fictifs الذين يحوطونه من جانبٍ واحد بسلعهم وبسياسة سلعهم. والاستعراض، في مجمله، هو «صورته المرآوية». هنا يجري فوق خشبة المسرح العرضُ الزائف للتوحُّد autisme المعمَّم.

(٢١٩)

الاستعراض، الذي هو محوٌ للحدود بين الأنا وبين العالم عن طريق سحق الأنا التي يحاصرها وجود- غياب العالم، هو أيضاً محوٌ للحدود بين ماهو صادق وبين ماهو زائف عن طريق كبت كل حقيقة مُعاشة تحت الحضور الواقعي للزيف الذي يضمنه تنظيم التَبَدُّي. هكذا فإن من يقبل، على نحوٍ سلبي، بمصيره اليومي الغريب عنه، يجدُ نفسَه مدفوعاً إلى جنونٍ يمثّل رد فعل وهمي على مصيره، باللجوء إلى تقنيات سحرية وقبولٌ واستهلاك السلع يكمنان في قلب هذه الاستجابة- الزائفة.ردأ على اتصالٍ دون جواب. والحاجة إلى المحاكاة التي يحسها المستهلك هي بالضبط الحاجة الطفولية، المشروطة بكلِّ جوانب نزع ملكيته الجوهرى. وحسب التعبيرات التي أطلقها جابل على مستوىً مرضيٍ مختلف تماماً فإن «الحاجة غير العادية للتمثيل représentation تُعوِّض هنا إحساساً معذّباً بكون المرء على هامش الوجود».

(٢٢٠)

اذا كان منطق الوعي الزائف غير قادرٍ على معرفه نفسه بشكل حقيقي، لابد للبحث عن حقيقة نقدية عن الاستعراض أن يكون نقداً حقيقياً. ولابد له أن يناضل عملياً في صفوف الأعداء الذين لايليقون للاستعراض، وأن يُسلِّم بغيابه حيثما غابوا. والرغبةُ المجردة في الفعالية الفورية تقبلُ بقوانين الفكر السائد، بوجهة النظر الشاملة للحاضر، حين تُلقي بنفسها في المساومات الإصلاحية أو في نفايات الأعمال المشتركة الثورية- الزائفة. وهكذا يعاود الجنونُ الظهور داخل نفس الموقف الذي يزعمُ محاربتَه. وعلى العكس، فإن على النقد الذي يتجاوز الاستعراض أن يعرف كيف ينتظر.

(٢٢١)

التحرّر من الأسس المادية للحقيقة المقلوبة، هذا هو مغزى التحرر- الذاتي لعصرنا. هذه«المهمّة التاريخية لوضع الصدق في العالم»، لايمكن أن يحقّقها لا الفرد المنعزل، ولا الزحام المتَذَرِّي الخاضع للتلاعب، بل يمكن أن تحقّقها، الآن وفي المستقبل، الطبقة القادرة على إنجاز تحلُّل الطبقات، وذلك بوضعها كل السلطة في الشكل النازع- للاستلاب للديمقراطية المتحقّقة، أي شكل المجلس العمالي، الذي تتحكم فيه النظرية العملية في نفسها وترى أفعالها. وليس هنا ممكناً إلا هناك، حيث يكون الأفراد «مرتبطين مباشرة» بالتاريخ الكلي»؛ هناك فقط، حيث يتسلّح الحوارُ ليجعل شروطه الخاصة تنتصر.

إشارات

١ ❖ القطعة (٩٢) الاتحاد الجوراسي: نسبةً إلى إقليم جورا Jura الجبلي الواقع على حدود فرنسا وسويسرا. وكان الاتحاد الجوراسي إحدى شُعب الجمعية الأممية للشغيلة (الأممية الأولى).

٢ ❖ القطعة (٨٨) الإشارة إلى نادي اليعاقبة الذي كان مؤيداً لروبسبير حتى النهاية.

٣ ❖ القطعة (٩٧) الثوريون السبارتاكيون (أو Spartakusbund): المقصود بهم جماعة الاشتراكيين الثوريين الألمان الذين انفصلوا عن الاشتراكية الديمقراطية الألمانية بعد الحرب العالمية الأولى بسبب مواقفها الانتهازية والقومية. وتأسست رابطتهم على يد كارل ليبكنيشت، وروزا لوكسمبورج، وفرانز مهرينج، وكلارا زيتكين. ففي مؤتمر ديسمبر عام ١٩١٨، تحوّل خط سبارتاكوس إلى الحزب الشيوعي الألماني، وانضم إلى الأممية الثالثة في عام ١٩١٩. وقد تم قمع انتفاضة سبارتاكوس، التي جرت في برلين في يناير ١٩١٩، بناءً على أوامر نوسكه، وشايدمان، وتمّ قبلها إغتيال روزا لوكسمبورج وكارل ليبكنيشت.

٤ ❖ القطعة (١٠٢) «هنا الوردة، فلترقص هنا»: مثل قديم يراد به الإشارة إلى الشيء الأساسي الذي يجب تناوله.

٥ ❖ القطعة (١٠٨) ليسنكو (تروفيم دينسوفيتش) (١٨٩٨- ١٩٧٦):عالم نبات ووراثة سوفيتي عارض نظرية الجينات، أساس علم الوراثة، وحاول إقامة علوم بحته بروليتارية! تشدّد على دور البيئة وتوارث السمات المكتسبة كعوامل لتطور الأنواع الحية. نال درجات الشرف في ظل ستالين لكن نظرياته، التي لقيت انتقاد شديداً، جرى التخلي عنها تماماً.

٦ ❖ القطعة (١١٥) «جنرال لد»: الإشارة إلى شخص يدعى ند لد Ned Ludd يُنسب إليه محطمو الآلات في شمال انجلترا في ١٨١٢ - ١٨١٨.

٧ ❖ القطعة (١٤٠) حروب الفروند: حروب أهلية في البلاط خلال حكم أغلبة لويس الرابع عشر. وتتميز إلى الفروند البرلمانية (١٦٤٨ - ١٦٤٩) بين البلاط والبرلمان، والفروند الشابة، أو فروند الأمراء(١٦٤٩ - ١٦٥٣).

قائمة المحتويات

١ ❖ الانفصال المكتمل ..... /٧/
٢ ❖ السلعة بوصفها استعراضاً ..... /١٧/
٣ ❖ الوحدة والانقسام داخل التبدّي ..... /٢٥/
٤ ❖ البروليتاريا بوصفها ذاتاً وبوصفها تمثيلاً ..... /٣٣/
٥ ❖ الزمان والتاريخ ..... /٥٥/
٦ ❖ الزمن الاستعراضي ..... /٦٥/
٧ ❖ ترتيب الحيّز المكاني ..... /٧٣/
٨ ❖ النفي والاستهلاك في الثقافة ..... /٧٩/
٩ ❖ الايديولوجيا المتجسّدة مادياً ..... /٩١/



إصدارات شرقيات

دار لنشر الأعمال الإبداعية المتميزة
في إخراج طباعي متميز

روايات

اللجنة/ صنع الله إبراهيم
وكالة عطية/ خيري شلبي
رائحة البرتقال/ محمود الورداني
وردية ليل (الكتاب الأول)/ إبراهيم أصلان
حجارة بوبيللو/ إدوار الخراط
زمردة أيوب/ بدر الديب
صخب البحيرة/ محمد البساطي
متون الأهرام/ جمال الغيطاني*
العاشق والمعشوق/ خيري عبد الجواد*
وردية ليل (الكتاب الثاني)/ إبراهيم أصلان*



قصص

السرائر/ منتصر القفاش
الديوان الأخير/ عبد الحكيم قاسم
أمراج الليالي/ إدوار الخراط
القمر في اكتمال/ نبيل نعوم
ضوء ضعيف لا يكشف شيئا/ محمد البساطي
رجفة اثوابهم البيض/ يوسف المحيميد
شرفات قريبة/ هناء عطية
صياد في قُمص/ عبد الحكيم حيدر

* قيد النشر

عرائس من ورق/ أحمد زغلول الشيطي
الرجل الذي عرف تهمته/ لطيفة الزيات★

❖ ❖ ❖

شعر

فاصلة ايقاعات النمل/ محمد عفيفي مطر
مطر خفيف في الخارج/ إبراهيم داوود
فقه اللذة/ حلمي سالم
لا نيل إلا النيل/ حسن طلب

❖ ❖ ❖

عيون الأدب الأجنبي

عبدة الصفر/ ألان نادو
مدام بوڤاري/ جوستاف فلوبير
المكان/ أني إرنو
الكلمات/ جان پول سارتر
الأحمر والأسود/ ستندال
الآثار الشعرية الكاملة/ إديت سودرجران
ديرپارم/ ستندال★
چاز/ توني موريسون★
الأسير العاشق/ جان جينيه★
قتل للذكرى/ ديديه دينتكس★
الضفة الأخرى/ چوليان جراك★
أعمال رامبو الكاملة/ أرتور رامبو★
البحث عن الزمن المفقود: الجزء الأول/ مارسيل بروست★

❖ ❖ ❖

دراسات

مسرح الشعب/ د. علي الراعي

من أوراق الرفض والقبول/ فاروق عبد القادر
البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث/ د. سيد البحراوي
الكتابة عبر النوعية/ إدوار الخراط
يوميات الحب والغضب/ فريدة النقاش
تاريخ القرصنة البحرية/ ياتسيك ماخرفسكي★

❖ ❖ ❖

دراسات ثقافية أجنبية

مدخل إلى الأدب العجائبي/ تزفيتن تودوروف
الوضع ما بعد الحداثي/ جان - فرانسوا ليوتار
مجتمع الفرجة/ جي ديبور
كهش الفداء/ رينيه جبرار★
مدخل إلى الشعر الشفاهي/ پول زمتور★

❖ ❖ ❖

كتاب شرقيات للجميع

قصص التحول في الأدب العالمي الحديث:
الأنف/جوجول ◆ المسخ/كافكا ◆ الثدي/روث
أيام من حياتي/ هرمان هسه
من مجمرة البدايات/ محمد عفيفي مطر
اثر العابر/ أمجد ناصر
الدليل اللغوي العام/ سليمان فياض★

❖ ❖ ❖

فنون

ناجي العلي في القاهرة/ ناجي العلي
(بالاشتراك مع دار المستقبل العربي)
لغة السينما / علي ابو شادي ★

❖ ❖ ❖



« ولا شك أن عصرنا... يُفضّل الصورة على الشيء، النسخة على الأصل، التمثيل على الواقع، المظهر على الوجود... وما هو مقدس بالنسبة له، ليس سوى الوهم، أما ما هو مدنّس، فهو الحقيقة. وبالأحرى، فإن ماهو مقدس يكبر في عينيه بقدر ما تتناقص الحقيقة ويتزايد الوهم، بحيث أن أعلى درجات الوهم تصبح بالنسبة له أعلى درجات المقدس. »